الى القارئ

هل من سبيل الى الخروج من هذا الوضع !؟

بقلم : البشير بن سلامة

التأمت بالبلاد التونسية فى غضون شهر أفريل 1978 ندوتان اعتبرهما هامتين من الوجهة الفكرية والحضارية ، الأولى بقفصة فى نطاق الملتقى الخامس لابن منظور الافريقى (أيام 30 ، 31 مارس و 1 ، 2 أفريل 1978) حول دور التعريب فى تطوير اللغة العربية . والثانية بقمرت ضمن أول لقاء يجمع بين الجامعيين المصريين والتونسيين بتنظيم من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ومن مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس (من 12 الى 17 أفريل 1978) حول الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع .

فملتقى دور التعريب فى تطوير اللغة العربية كان فرصة لتداول عدة مواضيع تتعلق بلغة الضاد لا فيما يختص بالتعريب فقط بل تطوير اللغة وفهم اسرارها ايضا ذلك ان موضوع التعريب أصبح فى بلادنا أمرا لا يناقش فيه الكثير نظرا الى أنه أصبح من المسلم به أن يستعمل أهل العربية لغتهم فى كل شؤونهم سواء كانت تعليما أو ادارة او حياة عامة لأنه لا خلق ولا نهضة حقيقية الا فى اللغة الأم حسب ما أكده جميع علماء العالم . إذ الانسان لا يمكن له أن يستوعب وينتفع بغذاء خارج عنه الا اذا أمكن لمعدته أن تحتويه وتهضمه وتوزعه فى نسق دقيق على كل اعضاء البدن وكذلك نتاج اللغات الاجنبية الذى هو غذاء الحضارات لا يثمر ولا يعطى أكله الا اذا انصهر فى بوتقة اللغة الأم وتلاقح معها وقدرت هذه على هضمه وتكييفه لبثه فى شرايين المجتمع . هذه الحقيقة أصبحت لا منازع فيها اليوم .

كسب آخر تجلى لى من هذا الملتقى هو ان جيلا شابا من الجامعيين التونسيين تحمس لهذه الحقيقة وتخلى عن كل احتراز فى شانها وهو أمر

هام ، نظرا الى الدور الاساسى الذى تقوم به الجامعة فى هذا الشان . وليس معنى هذا ان الصعوبات قد زالت واننا سوف نتخلى عن اللغات الاجنبية بل ان المطلوب من إطاراتنا العليا العارفة باللغات الاجنبية والمتشبعة عن طريقها بالعلوم والمعارف الجديدة أن لا ترضى بدور المترجم الببغاء أو المترجم عنه فى مباشرتها للحياة العامة وفى افادتها للجماهير بل ان مجهودا يتعين القيام به لتجاوز ذلك بحذق اللغة الأم وتفادى إضاعة الوقت والمصاريف الزائدة والمجهودات المهدورة شانهم فى ذلك يجب أن يكون كشان الفرنسى والروسى والياباني الذى يتلقى مستحدثات الأمم الاخرى فيستوعبها ويفرزها فى مجتمعه بصور متعددة من دون ان يتقمص نفسية المترجم السلبى الذى يقتصر على القيام بدور الناقل وهذا فى الواقع وجه الازدواجية القاتم الذى تشبثنا به فى جل البلدان العربية ، بينما الوجه الآخر المشرق الخلاق أعرضنا عنه لأنه الأصعب والمتطلب لمجهود أكبر للخروج من طور المستهلك للجاهز المقدم فى قالب حقن او امصال للأبدان العليلة غير القادرة على الغذاء الطبيعى .

اما الملتقى الثاني الذى تناول موضوع الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع فانه كان مجالا خصبا للتداول فى ثلاثة أغراض هامة هى الشخصية العربية والشخصية التونسية والشخصية المصرية . وبالطبع كان الملتقى مفيدا جدا لأنه نبه التونسيين والمصريين على حد السواء الى دقائق هامة اذا سهى عنها أو اهملت لا تعين على المضى بخطى ثابتة فى سبيل الوحدة المنشودة . وقد أسهم فى هذا الملتقى الاستاذ محمد مزالى وزير التربية ومدير هذه المجلة برأيه فى ثلاث حسب رأيى :

ولسائل ان يسال بعد هذا ما علاقة هذا كله بعنوان السانحة : هل من سبيل الى الخروج من هذا الوضع ؟ والوضع بالطبع هو وضع العالم العربى الاسلامى الفكرى والحضارى الذى لا يحسد عليه . العلاقة واضحة هو ان اهل العربية الممثلين فى نخبتها السياسية والفكرية والعلمية يعانون نفس القضايا التى اصطدموا بها فى العصر الحاضر ولم يجدوا حلا لها منذ ان بدؤوا نهضتهم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وهذه القضايا تتمثل فى ثلاث حسب رأيى :

- المعاصرة والأصالة وركضهم الحثيث اللاالتحاق بركب الأمم المتقدمة والمحافظة على روح حضارتهم .

- شعورهم بالانتماء الى أمة واحدة لشعورهم بخصوصياتهم الوطنية .

- البترول الذى أحدث اخيرا فروقا فى البلدان العربية وعقد الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

واعتقد ان كل المشاكل العربية الاخرى بما فيها القضية الفلسطينية ناجمة عن هذه القضايا الحضارية التى لم تقدر المجتمعات العربية بقياداتها السياسية والعلمية والفكرية على تجاوزها . وما دمنا نلتقى للخوض فيها والتعرف على الجزئيات منها والدقائق الكامنة فيها نبقى فى طور البحث والدرس وطرح المشكل بينما الوضع يقتضى القيام بهذا كله بالطبع ولكن المهم هو ايجاد الحل والظفر بالسبيل الذى بفضله يمكن لنا الخروج من طور التردى فى المشاكل الى طور التجاوز للانصهار فى الحضارة العصرية والمساهمة فيها كما امكن لليابان أن يقوم به . وليس معنى هذا ان نقف نفس الموقف الذى وقفه اليابان بل المقصود هو ايجاد التوازن الذى بفضله نخرج من هذا الوضع .

ولقد كنت نبهت (*) الى الظاهرة اليابانية الفريدة فى نوعها فى العالم الثالث وسقت ما كتبه زائر أروبى عن هذه الأمة عندما تحير من درجة الحضارة التى فاقت بها الغرب فى ثقافة ابنائها وفى المعجزات التقنية الحاصلة بفضل « جدهم فى العمل وحنكتهم وفعاليتهم بدون انقطاع ولا طفرة كانهم ارضة الكترونية » ولكن الذى حيره ليس هذا فقط ولا انهم يعدون مائة مليون نسمة بل الذى حيره هو ان هذه المائة مليون نسمة يخرجون اغلبهم فى الصباح من القرون الوسطى ليدخلوا فى ظرف عشر دقائق القرن الحادى والعشرين من دون صدام ولا ضجة . انه لأمر محير بل هو ماسوى » .

هو ماسوى حقيقة بالنسبة لهذا العقل الاوروبى لكن العقلية اليابانية التى تعودت نمط التفكير الاوروبى وبقيت متشبثة باصالتها لا تعد هذا مأسويا . لان الفكر اليابانى « لا ينحو المنحى الاستدلالى المنطقى بل هو حدسى ولايهمه المبدأ الذى يستنكف مما يعد تناقضا كما دأب عليه الغرب فى منطقه » فالفكر اليابانى هو أبعد مايكون عن العقلية الرياضية لانالبابانيين يميلون الىالمعرفةعن طريق القلب أكثر من المعرفة عن طريق العقل . « وان عقلية مثل هذه لا تعجبها الدقة المنطقية ؛ اذ ان كل معطى هو فى حد ذاته كامل ومن واجبنا ابقاؤه كما هو لأن تحليله وتدقيقه هو تجزئة له وتشويه وتسليط ضرب من العنف

(*) انظر كتاب قضايا ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس 1977 ص 122 .

على كليته . ومثل ذلك موقفهم من الواقع الاجتماعي . فالنظام والسلم الاجتماعية من المعطيات المسلم بها فلا فائدة اذن من ادخال التشويش عليها » ولهذا فان المشاكل الاجتماعية تلقى مسؤوليتها على الجميع والواجب يدعو الجميع الى تلافيها لأن الياباني يكره الحلول القاضية بتغليب شق على شق في الخلافات الاجتماعية على نحو ما دأب عليه الغربي . (**)

وفي هذا السياق أسوق نادرة تشرح هذه العقلية ..

ـ يحكى أن جباسا أضاع وهو مار بالطريق كيسا به ثلاثة ريو (السكة في عهد الامبراطور توقوكاوا) وخاتما ووصلا . فعثر على هذا الكيس نجار ودله الوصل على عنوان صاحبه . فتوجه رأسا الى منزل الجباس وسلمه ما وجده . ولكن النجار لم يتوقع موقف الجباس الذى أبى أن يسترجع المال بعد ان احتفظ بالخاتم والوصل وقال للنجار : « ان الثلاثة ريو فارقتني عن طيب خاطر لتدخل حوزتك . لهذا فاني استنكف أن استرجع شيئا هو في مثل هذا العقوق . ان هذا المال لك وحدك » فاستشاط النجار غضبا لما تجشمه من مشقة للوصول الى منزل الجباس ونجمت خصومة بين الرجلين كان مآلها الوقوف أمام القاضي . فحكم هذا بافتكاك المبلغ المالي واعطاء كل واحد من المتشاكيين اثنين من الريو . ثم شرح لهما أسباب هذا الحكم قائلا : « اني مسرور أشد السرور بما تتحليان به من أمانة . ولهذا فاني قررت جزاء لأمانتكما اصدار حكم سميته : كل من ثلاثتنا يخسر ريو ، لماذا ؟ فالجباس خسر ريو لانه لولا اضاعته لكيسه لأبقى على الثلاثة ريو والجباس خسر ريو لأنه لو قبل عرض النجار لربح ثلاثة ريو وأنا خسرت ريو حتى تمكنت من اعطاء النجار والجباس اثنين من الريو » .

هذه النادرة تدل على انه ليس هناك ربح وخسارة حسب المفهوم الاروبي إذ الطرفان رضيا بالحكم فلا غالب ولا مغلوب . بينما الجماعة ضحت بشيء من أجل استتباب السلم حتى الحاكم ، وهذا هو المثل الاعلى في الحياة الاجتماعية المتمثل في الاعراض عن اثارة اى نوع من الخلاف . واذا أتفق ان وقع خلاف فان واجب المعنيين بالامر يقتضى الوصول الى اتفاق مهما كان الأمر .

(**) المعلومات مستفادة من مادة يابان في دائرة المعارف العالمية .

لا أريد أن أفيض فى هذا الاتجاه وفى هذا المقام لأن الحديث عن اليابان يستدعى فصولا وفصولا . وانما الذى أغرانى بذكر ما ذكرت هو قدرة اليابانى على تذليل ما عجز عنه العربى وتخطى ما بقى فيه أهل العربية من تردد دائم وبحث طويل عن الحلول التى تخرجهم من هذا الوضع المشين .

لذا فانه يتعين علينا جميعا فى درس القضايا المذكورة ـ ويجب قتلها بحثا ودرسا ما فى ذلك شك ـ ان نتخلص بسرعة من هـذا النوع من الدراسـات والبحوث وأن نصل الى اقناع الرأى العام العربى الاسلامى وبالتابع السياسات بضرورة تجاوز هذه المرحلة فى أقرب وقت والاقدام على عقد ندوات طيلـة عام تقوم بها اليونسكو مثلا وتكون سنة التجاوز بالنسبة للعالم العربى تجاوز الخلافات والهامشيات والقضايا العاطفية المصطنعة مرة واحدة . اذ يظهر أن الوعى بالبديهيات فى هذا المجال بطىء جدا حتى فى بعض القيادات الفكرية .

وأقصد من هذا ان يتفق اهل الحل والعقد فى العالم العربى الاسلامى على رؤوس الملأ وبمشاركة وسائل الاعلام كلها وفى البلدان العربية جميعها لا فى القاعات المغلقة على تجاوز هذه المتناقضات والاصداع بالطرق التى يجب توخيها لصنع مستقبل الجماهير العربية فى الوضوح التام وبالعزم الاكبر والانبل .

واعتقد أن هذا الاقتراح يظهر من قبيل الخيالات والاوهام نظرا الى الخلافات الموجودة فى العالم العربى سياسيا ولكنى أومن بأن الفكرة مهما كانت خيالية فانها كالبذرة التى تنتظر الظرف الملائم لتينع وتزهر . ولا مناص للعالم العربى من ان يشق طريقا أخرى غير التى سلكها منذ النهضة الاولى والا فانه حكم على نفسه ان يبقى طويلا وطويلا فى هذا الوضع المقيت المزمن الذى لا يشرف امة أسهمت فى حضارة العالم بقسط وافر .

فهلا دقت ساعة التجاوز ؟

البشير بن سلامة

من اجل حوار حقيقي بين الشرق والغرب

بقلم : محمد مزالي

انى لسعيد بما اتاحته لى جمعية الصداقة التونسية الفرنسية من فرصة للمشاركة فى هذا الملتقى بمحضر عدد من جلة الضيوف الفرنسيين امثال الوزير « ديجو » وعضو الاكاديمية « موريس دريون » ورئيس جامعة باريس « روبار مالى » وجملة من المسؤولين عن التربية والثقافة بفرنسا ، وكذلك بحضور وزراء ونخبة من الجامعيين ورجال الفكر التونسيين ٠

ان ملتقاكم هذا ليكتسى اهمية عظيمة اذ يقوم شاهدا جديدا على التعاون التربوى والمبادلات الثقافية بين بلدينا ويطمح الى ان يكون دافعا الى التفكير العميق فى آفاق التعاون وأبعاده ومستقبله وفي المصاعب التى يواجهها ، وكذلك فى شروط النجاح لهذا الحوار الذى نواصله بين تونس وفرنسا ، وبصفة اعم بين الشرق والغرب ٠

وانى أود بادىء ذى بدء أن أؤكد ، مثلما فعل السيد وزير خارجية تونس منذ حين على الاختيار الحضارى الذى صدع به الرئيس الحبيب بورقيبة وعلى المدلول الذى أضفاه على كفاح الشعب التونسى من اجل استرجاع سيادته والظفر بحريته ، ذلك الكفاح الذى افضى الى ايجاد الظروف الحقيقية الدائمة لارساء الصداقة التونسية الفرنسية ، وفعلا فلقد كانت العلاقات بين تونس وفرنسا طيلة ثلاثة ارباع القرن علاقات مسيطر بمسيطر عليه بحيث كانت الصداقة والسلم مستحيلتين فى مثل تلك الظروف ٠ ومع ذلك فقد كان بورقيبة صديقا لفرنسا ، فرنسا التى سنت حقوق الانسان لا تلك التى كانت تبرز وراء

(1) هذا نص الكلمة التى القيت بالفرنسية امام المشاركين فى الملتقى حول العلاقات التونسية الفرنسية فى الحاضر وآفاق المستقبل ، والذى نظمته فى كلية الاداب بتونس جمعية الصداقة التونسية الفرنسية (افريل 1977)

وجه الحماية البشع · فبقدر ما كان معجبا بالثقافة الفرنسية كان يرى ـ ويسانده فى ذلك التونسيون ـ انه بدون استقلال وحرية وكرامة ، لا يمكن اقرار تعايش سلمى بين البلدين ، بله اقرار تعاون سليم بينهما · ولم يكن ثمة من يرى باستثناء عدد من المعمرين والمستعمرين تناقضا بين تمسك بورقيبة بقيم الثقافة الفرنسية وبين ارادته الجامحة والمنصرفة الى تحطيم الحماية وتحرير تونس من نير الاستعمار الفرنسى والعمل على احياء الثقافة القومية ·

ومن هذا الموقف استخلص المتطرفون الذين ربما قرأوا تاريخ «تيت ليف» شكلا حديثا من اشكال « الخداع البونيقى » وبلغ انفعال « المتفوقين » (1) أشده عندما كان بورقيبة فى احلك ساعات الكفاح يدعو بكل قواه الى تعاون صادق نزيه مع فرنسا ·

وانفتحت الطريق فى وجه صداقة خالصة غداة الاستقلال الذى تم الظفر به سنة 1956 بعد كفاح وتضحيات استمرت خمسا وعشرين سنة كان نصيب بورقيبة منها عشر سنوات قضاها فى السجون فضلا عن السنوات الاربع التى قضاها فى «الغربة» بمحض اختياره ، ولم تسفه تونس المستقلة منذ أكثر من 21 عاما رهان بورقيبة، اذ ان التعاون بين البلدان قائم كاحسن ما يكون التعاون .

انى ساقصر حديثى ـ ان سمحتم ـ فى مجال هذا التعاون على التربية والثقافة وسأتناول ذلك بصراحة وصدق بوصفى رجل ثقافة وتعليم ، بل بوصفى مواطنا تونسيا ·

ان التحليل الصحيح الصادق لشروط النجاح الدائم للتعاون التربوى بين البلدين يفترض الاتفاق بخصوص الوسائل الملائمة للتوفيق بين مقومات الشخصية التونسية العربية الاسلامية وبين الثقافة الغربية التى تواجهها والتى لا يتعين عليها ان تتبنى اخلاقيتها وطريقة كينونتها ووجودها بل يحسن ان تتعايش معها فى تفاعل وتكافل · وهو يقتضى ايضا وبالخصوص فى النظام التربوى التونسى الاصيل تحديد مكانة اللغة الفرنسية ووظيفتها باعتبارها وسيلة اتصال بالمعاصرة واكتساب التقنيات والتكنولوجيا ·

---

(1) هكذا كان يسمى غلاة المعمرين والموظفين المستوطنين بتونس
(Les Prépondérants)

ولقد كانت سياستنا التربوية ، طوال سنوات الاستقلال العشرين عبارة عن مجهود متواصل للبحث عن توازن صحيح وناجع بين حرصنا على الاحتفاظ بذاتيتنا وبين طموحنا الى معانقة عصرنا بتحديد محتوى تربوى يساعد على تكوين اجيال تونسية بحق ، متفتحة على العالم الخارجي ، تتميز بالاستعداد النفساني والقدرة الفكرية على انعاش ثقافتنا القومية واحيائها بعد ان حنطتها قرون الانحطاط وكبلها الاستعمار .

وانها لمهمة دقيقة ومفاوضة شاقة حتمها بالخصوص هذا «الارث» التربوى الذى خلفته الحماية اذ نظمت أو أبقت بسابق اضمار على ثلاثة انظمة مدرسية (الزيتونية والصادقية ، والليسى الفرنسى) فأفرزت بذلك انماطا ثلاثة من العقليات على الاقل ، بغض النظر عن الاميين الذين كانوا كثيرين ، فشروط المعادلة كانت ولعلها ما زالت الى اليوم ، غير مفهومة بنفس الصورة من قبل كل البيداغوجيين وكل المثقفين وحتى كل السياسيين . ذلك أن المنطق التعليمى المماشى للعصر والآخذ باسباب التقنية يمتزج بالمنطق التقليدى المحافظ • وهكذا تكون الاولوية فيما يبدو لطلب النجاعة ومقتضيات البناء الاقتصادى على حساب تاكيد الذات القومية التى لم يحدد بوضوح اطارها التاريخى والايديولوجى • وبذلك يصطدم مفهوم للتعريب سلبى الى حد الوسوسة بميل عنيف وساذج الى كل ما هو اوروبى (Européocentrisme naïf) اى بتقليد لعادات الغير لا يخلو من خنوع ، وبتحذلق يدفع بالكثير الى الترطن بالفرنسية طلبا الى الظهور بمظر العصريين المتحررين المتطورين •

فما هى الاصالة التونسية اذن ؟ هل معناها الانغلاق داخل غل مانوى : شرق ــ غرب ، عروبة ــ فرنسة ، رجعية ــ تقدم ••• ام يجب ادراك المشاكل بصورة واعية وجعلها تنعكس على المستقبل ؟ أفلا يقتضى واجب المسؤول ان يختار عن روية ، وان يعد الحلول المواتية والصحيحة وان يتخذ القرارات الملائمة ؟

فنحن بصدد تحديد هذه السياسة التربوية المتوازنة ووضعها حيز التنفيذ ، اذ التحليل والفعل متكاملان وان هذه السياسة كفيلة بان تتيح لنا تجسيم هذا الاختيار الحضارى الذى قمنا به على صعيد وجودى وادرجناه فى سياق مصيرى والذى يتعين تعميقه وصقله باستمرار على الصعيد الثقافى •

ان الامر لا يتعلق بمشكل اللغة فقط ، ولو انه فى حد ذاته مشكل شائك

ومعقد ، بل هو يتعلق خاصة بمشكل محتوى الثقافة ، والمراجع الحضارية ومفهوم مصير تونس ومنزلة التونسي باعتباره عربيا مسلما وباعتباره انسانا ٠

وان من الناس من لا ينفكون يتحدثون عن المعاصرة والتقدم والعلوم والتقنيات وعام 2000 انهم لا يدركون الا الجانب العلمي بل العلموي ، وحجتهم الدامغة هي النجاعة والنمو المادي . انهم ينسون ان أي سلوك واية معرفة واى فعل لا بد ان يقتضي الخضوع الى نسق من القيم قائم الذات والى رؤية كونية خاصة ومراجع ايديولوجية معينة ، وانه لا يكفي ان يكون لنا تكوين علمي وان نتحدث عدة لغات للاضطلاع باصالتنا والاسهام في تغيير العالم والنهوض بالانسان ٠ ان الاقتصادوية (Economisme) والتقنوية (Technophilie) لا يشرحان كل شيء وهما لا يستطيعان بمفردهما مصالحة الانسان مع نفسه .

ويتضح اليوم اكثر فاكثر انه لا توجد حضارة واحدة ، بل حضارات ، كما انه لا توجد ثقافة واحدة مهيمنة بل ثقافات ، فكل الناس ــ باستثناء العنصريين والاستعماريين الذين لم يتعظوا بالاحداث ــ متفقون على ان الحضارة العالمية انما هي حصيلة اسهامات متعددة مختلفة تأتي من كل الشعوب ومن كل الثقافات . ولذا يتعين ان يتم تنظيم المبادلات الثقافية على أساس التعامل بالمثل : ان جدلية الاخذ والعطاء يجب ان تقود خطانا منذ الان ، فلكل شعب ذاتيته الخاصة وعبقريته القومية وان التعاون هو ايضا اثراء متبادل يفترض احترام الغير والتواضع والتسامح والاستعداد النفساني والفكري من قبل كل فرد وكل شعب للتعرف الى طرافة ما اسهم به الاخر وتقبله ان وجب الامر ٠

ولا يخفى اليوم على احد ان عهد « الغربوية » (Occidento-centrisme) ان جاز هذا التعبير ، قد ولى وانقضى ، وخوفا من ان يكون كل شعب نسخة طبق الاصل لغيره او فرعا ذاويا ثانويا فانه ينبغي له ان يقد ثقافته على قدر قياسه مع التفتح على الاخرين حتى لا يختنق بالانطواء على ذاته وينبغي لكل شعب ان يواصل البحث عن شخصيته ، وان يعمل على البقاء وفيا للارض التي انبتته واذا قدر للشعوب بان لا تأخذ بناصية تاريخها وان لا تنشد كمال ذاتيتها فانها تسهل انتشار الثقافات « الاخطبوطية » او الامبريالية التي توحي لها القوى الاقتصادية او العسكرية دائما بالقيام برسالة تمدينية او «انسانية» جديدة على مستوى العالم ٠

وفي هذا السياق يجدر ان نؤكد النزعة العدوانية واخطار التسطيح التي تنشرها على رؤوس الاغلبية الساحقة من الشعوب ــ لا الشعوب المتخلفة فحسب

ـ هذه الاجهزة السمعية البصرية ووسائل الاتصال الجماهيرى التى تفرضها التقنيات العصرية والتى « تطرق » الضمائر وتطوقها لصالح قوى تجارية وسلطات مادية لا هم لها الا تجميع الثروات على حساب اكثر الناس ضعفا وسذاجة . ولقد لفتت الجلسة العامة لليونسكو سنة 1972 انتباه المسؤولين الى الاسقاطات الخفية المتعذر ادراكها والمتنزلة من الوسائل التكنولوجية والبرامج المنعوتة بالثقافة والمذاعة « من فوق رؤوس الشعوب » ـ بأتم معانى الكلمة ـ والتى توشك ان تضر بطرافتها وان تستلب شخصية الامم .

ونحن لا ندعى ـ درءا لهذا الخطر ـ انه بوسعنا ان نبسط المظلات الواقية فى كل مكان ، بل انه ينبغى لنا ، اذا ما اتفقنا على تحليل هذه الظاهرة ، ايجاد البيداغوجية القادرة على تكوين شبابنا بطريقة تمكنه من الاحتفاظ بذاتيته والامتزاج بالكثرة مع اجتناب عدوى هذه الاسقاطات «الثقافية» التى تصر على جرنا الى «جناتها» جرا ٠ ان مثل الروح كمثل الجسد ، اذا تحصن قاوم الجراثيم التى تسكنه وقدر على احتوائها اما اذا كان واهيا غافلا «مشوشا» من جراء عوامل اجنبية عنه ، فانه يضمحل ، وفى ذلك انبثاث المرض الثقافى واستشراؤه ثم الموت ٠

هذا المشكل مطروح على كافة البلدان ٠ ولقد استمعت شخصيا بمناسبة انعقاد الجلسة العامة لليونسكو التى اشرت اليها آنفا ، الى ممثلين لاقطار اوروبية كبرى « نشيطة » ـ بل « غازية » فى علاقاتها الثقافية مع العالم الثالث ـ يعبرون بدورهم عن شديد مخاوفهم ازاء إمكانية « اغتصابهم » فى سلامة ذاتيتهم القومية عن طريق هذه الحملات « الثقافية » التى تعدها الدولتان العظيمتان اللتان تسيطران على التكنولوجيا وتراقبان الفضاء ، طالما ان كلا منا متخلف بالنسبة الى غيره ! ومهما يكن من امر ، فانه يحق للاقطار النامية ان تضاعف من جهودها وتبصرها للمحافظة على ثقافتها وان تفكر بجد فى محتويات الانظمة التربوية المقدمة لشبابها .

وهكذا فاننا جميعا ، سواء انتمينا الى الضفة الشمالية او الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ، نجابه معا نفس المشاكل وتتهددنا نفس الظواهر ٠

فينبغى اذن ان ينهض كل منا بحضارته ويخصب الفوارق القائمة بيننا وفى نفس الوقت يجب ان نتعاون ، اى ان ناخذ ونعطى وان نتكامل وان يثرى بعضنا الاخر ، وان نناضل معا ضد كل شكل من اشكال التلوث الثقافى ، وان نتمسك

بما نشترك فيه ، اى برؤية موحدة للانسان ، ووعى مماثل لمصيره ، وبفلسفة انسية ٠

والواقع ان التعاون القائم بين تونس وفرنسا يعد صيغة من صيغ التعاون بين الغرب والشرق ومظهرا من مظاهر الحوار بين الشمال والجنوب ، اذ يتعلق الامر بجبهة ثقافية مشتركة للوقوف فى وجه الاخطار التى تتهدد حرية الانسان وكرامته وكمال ذاته فى كل مكان .

وليس ادل على ذلك مما يعانيه تصورنا للتعاون الثقافى السليم ، من مقاومة الماسكين بزمام الامبريالية الثقافية الذين يعملون ما وسعهم العمل ، باسم الشمول او التقدمية او الحداثة ، على بيع بضاعتهم الثقافية التافهة وفرض ايديولوجياتهم على الشعوب ، شعوب العالم الثالث بالخصوص ، وابقائهم بهذه الصورة فى منزلة المستهلك ٠

◆ ◆ ◆

واود من ناحية اخرى ، وفى نفس هذا السياق ، ان اتحدث قليلا عن لغتنا القومية ٠

ان لغتنا القومية هى العربية هذا امر لا ينازعنا فيه احد ولا يمكن أن نقبل فيه النقاش مع أحد ٠ وينبغى لنا كما اكده منذ لحظات السيد الوزير «ديجو» نفسه ان نعلم ابناءنا بفرنسا لغتهم العربية حتى لا يتعرضوا الى الانتزاع الثقافى والاستلاب ٠ ولكن احرى بنا ان نعلمها لابنائنا بتونس بوصفها اللغة الام ، اى ان نعلم كل الولد بالعربية حتى يتمكن الشبان التونسيون من اتقانها ، والاعتزاز بها ٠ فيتيسر بفضلها وعن طريقها ظهور الكوامن الخلاقة فى مجموع المجتمع التونسى ، على غرار كل الشعوب التى تمتلك لغة قومية ٠ وارى شخصيا ـ وارجو ان اكون مخطئا فى هذا التاكيد ـ اننا لم ندرك هذا الهدف ٠ ان الشبان التونسيين اليوم يقرؤون ويكتبون العربية ، لاجدال فى ذلك ، بل ان عددا منهم يقرؤونها ويكتبونها بصورة مرضية ، ولكن كثيرا منهم عاجزون عن الخلق بواسطتها، كما ان عددا من بينهم يترطن فى حياته اليومية «بفرنسية ـ عربية» تنم عن فساد ذوق ، فلنصدع بها جلية اذن : ان اللغة الفرنسية هى اليوم مسيطرة واسعة الحضور رغم انها على هامش الثقافة القومية التى هى اساسا عربية اسلامية ومتوسطية ، وبامكان هذه الظاهرة ان تكون ايجابية طالما لم تخنق أصالتنا ولم تتعرض لغتنا القومية بسببها الى المنافسة والاستصغار .

ولكن اذا تجسم هذا الحضور ــ كما يخشى او ... يؤمل البعض ــ فــي نهاية بضع عشريات في انتقال السكان تدريجيا وبدون شعور الى اللغة الفرنسية عن طريق ظاهرة التغطيس (Submersion) كما يسميها الاخصائيون ، التــي قد تكون شبيهة بما جرى فى بلاد الغال (La Gaule) منذ ألفى عام ، واذا نزلت العربية الى مستوى لغة فلكلورية قد تجاوزها الزمن،واذا احست الاجيال الصاعدة بان اللغة الفرنسية اصبحت منافسة للغة القومية التى هى وطننا العقلى والوجدانى أو هى كما يقول عنها «هدڤير» «مسكن الكيان» والتى بها يتفاهم العرب من المحيط الى الخليج وبأسبابها يتواصلون ، اذ ذاك يظهر شعور بالحرمان والكبت وينطلق من أعماق الجماهير احساس اساسه الدفاع الذاتى ويتراءى فى الافق رد فعل قوامه كره الاجانب وبذلك نكون قد سرنا نحو الهــاوية من حيث اردنا المبالغة فى تأكيد « التفتح اللغوى » .

واجتنابا لهذه القطيعة المتمثلة فى الانتكاسات التى يعطينا عنها التاريخ اكثر من مثال سخرت جهودى ــ فى موضع المسؤولية الذى أنا فيه ــ مع عدد كبير من البيداغوجيين والمثقفين قصد تعزيز لغتنا وانجاز التعريب التدريجى للعلوم الانسانية فى مراحل التعليم ــ الابتدائى والثانوى والعالى ــ مــع العمــل على تحسين مستوى اللغة الفرنسية باعتبارها لغة اجنبية وبوصفها اداة ناجعة فى أيدى الاجيال الصاعدة تساعدهم على معانقة عصرهم .

واود ا ن اطمئن بعض المتخوفين واوضح ان التعريب ليس مرادفا للتقهقر من حيث المحتوى مثلما ان الخصوصية ليست بالضرورة محافظة وتقوقع . ان بعضهم ، عن جهل أو عن سوء نية ، لا يحجم عن التعبير عن خشيته من الرجوع الى القرون الوسطى والجمود والتحجر كلما سمع بتعريب الفلسفة او التاريــخ وانا لا ارد هنا على المتبنين والمستلبين ثقافيا ، بل اريــد ان اهــدىء من روع ذوى النية الحسنة الذين يلاقون صعوبــات فى تهــدئة مخــاوفهم من ان يتسم التعليم بطابع « القروسطية » نتيجة للتعريب .

ان اللغة العربية التى يتكلمها اكثر من مائة واربعين مليون عربى ، والتــى تنقل تراثا حضاريا عربيا اسلاميا يمتد على مدى 14 قرنا ، والتى اعترفت بها كلغة رسمية وكلغة عمل منظمة الامم المتحدة واهم المنظمات الدولية هى قادرة مثل كل اللغات الحية على التعبير عن كل المفاهيم والدقائق وعلى تبليغ كــل المعارف ، اذا ما قدر مستعملوها على اتقانها وارادوا ذلك . أنها تنتعش وتثرى وتماشى العصر بفضل ما يبلغه الناطقون بها من مستوى ثقافى وملكات خلاقة وبفضل قدرتهم على جعلها لغتهم الناقلة للعلوم والمعارف .

ذلك انه عندما يدرس استاذ تونسي في سنة 1977 مادة التاريخ او الفلسفة بالعربية ، فانه لا يعتمد في تعليمه هذا على الكتب التي اصفرت على مدى العصور ، بل انه يحرص على نقل المعارف وافكار عصره بأكثر ما يمكن من الايجابية ، على غرار زملائه بأروبا وبأمريكا أو بآسيا ، الذين يباشرون التعليم بلغاتهم القومية . ولكي تطمئن القلوب في هذا المجال فان مجرد الاطلاع على البرامج الرسمية الجديدة لوزارة التربية القومية يكون كافيا شافيا ، ثم ان الاساتذة التونسيين الذين يتولون اليوم تدريس الفلسفة او التاريخ ، هم اولائك الذين كانوا يدرسون هاتين المادتين بالفرنسية .

ان اللغة الفرنسية التي يتواصل تدريسها في المرحلة الثانية من مدارسنا الابتدائية وفي معاهدنا الثانوية ، وبالطبع في معاهدنا العليا ينبغي ان تمكننا من ان نكون دائما في حالة تفاعل واتصال مع العالم الخارجي ، فهي اداة مساعدة ووسيلة احتكاك بالواقع المعاصر وبمشاكل عصرنا .

كيف يمكن تحقيق هذه الاهداف في برامجنا ؟ كيف نكون الشباب بطريقة تمكنه من اتقان العربية وممارسة الخلق في نطاقها مع التضلع في اللغة الفرنسية باعتبارها لغة وظيفة ؟ ذلك هو المشكل وذلك هو ايضا التحدي البيداغوجي الذي فرضناه على انفسنا والذي نامل ان نكسبه بمساعدة كافة المدرسين التونسيين وكذلك باعانة اصدقائنا من غير التونسيين . ولئن كان هذا الهدف صعب المنال ، فانه ليس خارجا عن طوقنا .

بيد انه ينبغي ان نكون صرحاء وألا نتجاهل العراقيل ، فهناك اتجاهان يقفان عرضة امام نظرتنا هذه وطريقة عملنا ، ومن الضروري التعرف اليهما للتخلص من تاثير التفكير التبسيطي الساذج الذي ينبعان منه .

هناك اولا السلفيون أولئك الذين ينظرون الى عالم اليوم من خلال مرآة الماضي المشوهة ويبلغ بهم الامر الى الدعوة الى الانطواء على الذات باسم الرجوع الى المنابع. ومن البديهي ان هؤلاء الناس لا يستطيعون مواجهة الحاضر فضلا عن مواجهة المستقبل . ثم هناك ادعياء التعصر الذين يندهشون اعجابا امام كل ما يأتي من الضفة الشمالية للبحر المتوسط ، فيقتصرون على محاكاة الاجانب وينتزعون شخصيتهم عن طيبة خاطر ليظهروا بمظهر المتطورين ، شأنهم شان الاجلاف الذين يسعون الى الظهور بمظهر المتنبلين . وهؤلاء هم الذين يؤكدون بوثوق كبير ان العربية لغة ميتة كاللاطينية وان الفرنسية هي وحدها التي تضمن

المعمرين السابقين والاستعماريين الذين لم يهضموا استقلال تونس والاقطار التى استرجعت سيادتها حديثا ويتكهنون بنهاية الثقافة الفرنسية فى هذه البلدان كلما وضعت سياسة التعريب اى سياسة التأصيل التربوى موضع التنفيذ .

ان هذا يذكرنى بسلوك غلاة الاستعماريين قبل الاستقلال الذين أشرت اليهم فى مستهل حديثى ، وسلوك اصدقائهم « التونسيين » الذين باعوا انفسهم للشيطان وهم يتنافسون فى الانبطاح • لقد كان بورقيبة فى نظرهم عدوا لفرنسا ، اذ هو يكافح من اجل استقلال بلاده ، ذلك الاستقلال الذى كان بالنسبة اليه ، شرطا ضروريا لاقامة روابط صداقة وتعاون دائمين بين البلدين . كان هؤلاء الغلاة يعدون من بين الاصدقاء ، كل التونسيين الذين يحنون ظهورهم امامهم ، عن جبن او انتهازية ، ويتسابقون للحصول من اسيادهم على شهادة رضا بخصوص ولائهم « للوطن الام » . ولقد بين تاريخ تونس المستقلة من هم اصدقاء فرنسا الحقيقيون وأقام الدليل من جديد على أن حب الوطن هو وحده الذى يخول لنا إرساء أسس المحبة الحق التى يمكن ان نكنها لامم صديقة اخرى • اما « الحركى » (I) الذين هم فى خدمة المستعمر ، أولئك الذين لا يتعزون عن أفول الازمنة الاستعمارية، فانهم ما زالوا يشكلون عبئا ثقيلا يربك اسيادهم ويحرجهم • واذا كان لمقاومة التعريب فى اقطار المغرب العربى « حركيوها » ــ وهذه ظاهرة يمكن فهمها باعتبار ان كل جسم بشرى او اجتماعى يحمل معه طفيلياته ــ فانه من المؤسف ان نلاحظ ان الذين يحنون الى عهد الحماية مازالوا يخلطون بين التعريب وانقراض الفرنسية ، بين الاصالة والتاخر ، فلا عجب اذن ان يعتبروا هؤلاء الانصار الحقيقيين لتعاون ثقافى تونسى فرنسى سليم ودائم اعداء للثقافة الفرنسية وحتى لفرنسا ذاتها . وسيتكفل الزمن بفتح بصيرة كل الذين لا يرون الا اللحظة التى هم فيها •

ونحن فيما يخصنا ، لا نزال نعتقد ان تلقين كافة المواد بالعربية اثر الانتهاء من عملية التعريب التدريجي المنظم بقدر ما هو واقعى ، لا يتضارب مع دعم اللغة الفرنسية فى مدارسنا كلغة حية •

(I) اسم اطلق على نفر من الجزائريين تحالفوا مع قوات الاحتلال الفرنسية ضد المناضلين الوطنيين وكان مصيرهم بعد استقلال الجزائر النزوح الاجبارى الى فرنسا ••••

نحن نعتقد ولا نزال على اعتقادنا ان اللغة العربية اداة وظيفية لاكتساب المعرفة واعمال العقل والتعبير عن مكنوناته وتبليغ ثمار الفكر العميق وهى الى ذلك اداة لنقل العواطف والمشاعر والاحلام والحماس البشرى . واذا كانت اللغة العربية طوال عصور افول العالم العربى وعهود الاستعمار الذى جمد الثقافات القومية قد نقلت الاتباعية والجمود الفكرى ، واذا كانت فى زمن ما قد اكتظت فعلا بالمحسنات البديعية والتحذلق والتفيهق شأنها شأن كثير من اللغات الاخرى ، فانه من قبيل الخطا والاجحاف ان ننسى انها نقلت ايضا طوال قرون عديدة ، العقلانية وانها كانت لغة علمية رصينة دقيقة ومعبرة • لذا فان الامر يتوقف علينا ، نحن الاساتذة والمربين والعلماء والمبدعين والسياسيين والاقتصاديين والموظفين والمتصرفين ... لنعطيها ، بل لنعيد لها وظيفتها البيداغوجية ، ونرتفع بها الى مستوى الاداة العصرية الوظيفية القادرة على العمل والخلق ولنشحنها ايضا بالمثل العليا ، اى ان نوكل اليها مهمة الافصاح عن مشروع مجتمع جديد •

اننا نريد ان تتفهموا موقفنا : ان اللغة العربية ليست فى نظرنا مجرد صدى لاحساسنا بتاريخنا ولا مجرد تعبير خاص عن كينونتنا الجماعية ، انها ايضا وبدون شك اداة عمل ناجعة او أننا آلينا على انفسنا ان نظفر بذواتنا من خلالها فى الزمان والمكان وان نسيطر عليها وان نطهرها من أنساقها السطحية المتكلفة وان نعيد اليها مهمتها العلمية المضادة للجهالة ، حتى نكون على حقيقتنا وحتى نحافظ ونصون ذاتيتنا الثقافية •

ولكننا لا نفتأ نفكر ايضا ، وفى الاعادة افادة ، ان اللغة الفرنسية مساعد ضرورى ، وانه لا غنى لنا عنها فى الوصول مباشرة الى البيبليوغرافات وفى تسهيل الاتصال بالخارج وفى تنويع مصادر الاعلام • وفى هذا السياق فان اللغة الانكليزية ايضا ينبغى ان تدرس وان تقرأ من قبل تلاميذنا واطاراتنا .

كل هذا يجب ان يحثنا على تحسس الصداقة الفرنسية على صعيد الثقافة كصداقة بين ثقافتين متماثلتين فى القيمة متكاملتين تحققان فيما بينهما نوعا من التراشح المخصب وليس ثمة خارج هذا الاختيار الا الماضى المختنق المعقم او ابتلاع الاقوى للاضعف،مع ما يتضمنه ذلك منعواقب سيئة تنذر بانتفاضات وارتجاعات مفاجئة . وعبثا يحاول السحرة الماكرون ــ محليين كانوا أم مستوردين ــ الاستيلاء على لغتنا القومية وعلى ذاتيتنا الثقافية فالواقع يسفه مسعاهم ، وان حكم التاريخ سيكون صارما •

ان كل تعايش لا يتم على اساس العدالة ، والوفاق الحر واحترام ذاتية الآخر انما يحمل فى باطنه بذور انحلاله وسرطان انقراضه وكذلك الشان بالنسبة لكل تعاون ثقافى لا يقرأ حسابا لتاريخ الشعوب الـذين تشبعـوا بالنـزعة الانسانية واعتقد ان الفلاسفـة الفرنسييـن والبيداغوجيين الحقيقيين وكذلك رجال الثقافة الاحرار بفرنسا واوروبا يبذلون الجهد الكفيل باعانتنا على ان نكون على حقيقتنا وعلى ان نطالب بحقنا فى الاحتفاظ بما يفرق بيننا وبيـن الاخرين وفى انماء خصوصيتنا اذ بدون ذلك نكون نسخا مطابقـة للاصـل ، مقلدين للتافه من الامور وعلى وشك ان نموت اختناقا من جراء هذا «الاحتضان» الثقافى مهما كان «مثاليا» «واخويا» • وبدون ذلك ايضا يتعذر علينا ان نكون اطرافا اكفاء اذ لا يكون عندنا ما نقول وما نعطى وما نبلغ • ان حجة «النجاعة» مثل حجة «السلطة» ، لم تكن ابدا مشروعة ، خاصة عندما نتحدث عن الثقافة وغاية ما فى الامر انها اضاعت الامل خلال القرون ، واطلقت العنان للمهانة •

• • •

ان الدفاع عن ثقافتنا القومية بابعادها العربية الاسلامية ، والحوار الصادق البناء الذى ننادى به مع الثقافة الفرنسية وبوجه اعم مع الثقافة الغربية ــ وكذلك مع الثقافات الاخرى ــ علاوة على مظهره المساعد المثرى بالنسبة الينا ، يمكن ان يفيد الغرب ايضا رغما عن الفوارق الاقتصادية والتكنولوجية .

انى لشديد الانتباه لما ينشر باوروبا وخاصة للدراسات الخاصة بمشاكل الحضارة • ولقد قرات عددا من المؤلفات والفصول للسيدين « موريس دريون » و « روبير مالى » ، اللذين أستشهد بهما لحضورهما معنا . ولاحظت ما يعبران عنه فى مؤلفاتهما من حيرة بل ومن شعور بالضيق . ولقـد خص « ريمون ارون » هذه الظاهرة بصفحات رائعة • كما ان « مالرو » لم ينفك يحلل حتى الممات ما اسماه بازمة الحضارة الغربية ، وان من بين الاستفهامات الممضة التى انطوى عليها كتابه الاخير (الانسان العابر والادب) ما يتعلق بمعرفة هل ان الغرب المصنع ما زال قادرا على افراز حكمة جديدة •

وبعد مرور خمسة وعشرين قرنا على موت افلاطون يتساءل اليوم عدد كبير من كبار المفكرين بلهجة واخزة الى ابعد حدود الوخز ، عن السعادة ومعـنـى الجهد • انهم يتساءلون عما اذا كان النمو الاقتصادى يضمن بمفرده نـشـر السعادة والسلام بين البشر •

وبدون ان ندعى كما يفعل عدد من الغربيين انفسهم ان العالم الغربى مقلوب راسا على عقب ، فضلا عن كوننا لا نستطيع ارجاعه الى نصابه ، فانه ليس من قبيل الادعاء ان نؤكد ان الشرق وان العالم العربى الاسلامى وان تونس بوسعها ان تساهم رفقة الشعوب الغربية فى تحريك العزائم ، وتأتى بما يشهد بطراوتها وان توجد لغة جديدة بامكانها ان تفضى الى حوار حقيقى بين الثقافات وتيسر تآلف الافكار ·

اذا كنا جميعا بفضل قيمنا الروحية المشتركة واحساسنا الموحد بمعنى المغامرة الانسانية على اقتناع بان حضارتنا ، خلافا لتأكيدات « لانك » وغيره من المفكرين والاطباء النفسانيين العديدين ، ليست ضربا من ضروب الاسر ، ففى اى اطار وبأية لغة وكيف نرد الفعل ونناضل من اجل ان لا يكون الجسم سجنا والعمل عبودية والمجتمع اداة استلاب ؟ كيف نحرر الانسان ونتيح لكل فرد ان « يرتاح الى نفسه » ، ان يعيش حياته ، ان يتفتح ، ان يتجاوب مع الاخرين فى كوكبنا الذى يعتبره بعضهم « صخرة قردة » عظيمة ؟ كيف نخلص المواطنين من « مسالك الخردة المصهورة » التى اصبحت عليها شوارع المدن الكبيرة ؟ وهل من امل فى خلاص العمال مما قدر لهم من مد وجزر بين مكان الشغل وحافلات النقل والنوم ؟ اية ثورة ثقافية ينبغى القيام بها لمكافحة الالية التى فرضها التصنيع حتى لا يؤول العمل الى « استفراغ الدماغ » والقضاء على الانسان ؟ كيف العمل لمكافحة نزعة القطيع فى الاقتداء بالموضات والنزول بالثقافة الى مستوى الاشياء ، ومكافحة العنف والمخدرات والانتحار وهى ظواهر تشهد اليوم انتشارا مقلقا فى الاقطار الثرية على الاخص ؟ كيف نتجنب خطر تقليص الفكر ، وخطر حضارة مضادة يكون فيها شطط العقلانية القاسية والايجابية المؤدية الى التشاكل ــ غامرا اكثر فاكثر لنشيد الرقة والفن والايمان والحرية والحساسية والخيال والحب القادرة كلها على خلق المستقبل واختراعه واعادة استنباط الحياة ؟ ···

ان الامر يتعلق بمشاكل حقيقية ارتبطت بطبيعة الانسان او فرضها ضرب من النمو · ولسنا فى تونس وفى العالم العربى عنها بمنجى ولكننا قادرون اذا وحدنا الصفوف على ان نتصالح مع انفسنا وان نواصل التقدم بالتنقيص من مصادر الضرر وبالعمل من اجل اقرار السلام والسعادة فى العالم ·

بيد انه ، ولا غنى لنا عن التكرار ، لا يمكن القيام باى عمل جدى اذا ما استمرت ، ولو بشكل محتشم متستر ، الهيمنة الثقافية او حتى نية الهيمنة الثقافية · ولا نجاة لنا بدون اعتراف متبادل بفوارقنا الثقافية ·

وخوفا من الظهور بمظهر من يمنع الصداقة من ان تتمتن اذ لا صداقة صحيحة دائمة الا برسوخها وانطلاقها من ارادة الجماهير الشعبية ، فاني لا اتردد مؤكدا بان المصاعب ما تزال ماثلة مع الاسف ومعرقلة لقيام الحوار الغربي الشرقي ٠ وان جهلا بين الغرب والشرق ما يزال موجودا لاسباب تاريخية يدركها الجامعيون وكبار المثقفين حق الادراك ، فهناك التباسات خطيرة لم تتم ازالتها بعد ، بحيث يبدو الحوار الذى يتشدق به بعضهم سطحيا . ان « البترودولارات » تدفع كثيرا نحو الحوار فى بعض العواصم ٠ ولكن الوجدان منعدم فى كل ذلك والنية ليست لوجه الله دائما ٠

ان العديد من «المهذبين» الذين يتنافسون فى الافصاح عن تفهم ــ جاء متأخرا !.. ــ للعروبة والاسلام، قصد استرجاع بكارتهم التاريخية يثيرون الحذر قبل اى شىء آخر. وحتى ذوو العزائم الطيبة ، اعنى المسؤولين السياسيين او الثقافيين الصادقين يقف امامهم هذا «الحجاب» التاريخى وهذا التكييف الثقافى اللذان صنعتهما القرون العديدة وراحا يفسدان تصور كل طرف للطرف الاخر . ان الاحكام المسبقة تحول دون الحكم الصحيح ٠

فلقد مضى عدد من المستشرقين والمؤرخين والموسوعيين منذ قرون يصورون العرب والمسلمين فى صورة مشوهة ويعطون عنهم فكرة مبتورة مجحفة ، فاثروا بذلك فى كثير من الاجيال فى الغرب ، وجعلوا بهذا الاحتقار مشروعا واباحوا الاستعمار وحروب « التهدئة » وبرروا كل الاعمال التى اضطلع بها المبشرون والمأجورون والمعمرون من اجل « اسعاد » الاهالى رغما عنهم . ذلك ان صلف اليقين بتفوق الرجل الابيض مريح للضمير .

وأسوق لكم على سبيل المثال بعض ما كانت تقوله الموسوعات الالمانية عن بلادى ٠

فقد القى مؤخرا بتونس السيد « رينر ريمنشنيدر » ، وهو مؤرخ المانى ، محاضرة رائعة من حيث الصراحة والشجاعة بعنوان « شؤون وملذات ٠ تونس فى الموسوعات الالمانية الصادرة من القرن الثامن عشر الى القرن العشرين » ٠

انكم تعلمون جيد العلم ، وانتم من انتم علما ومعرفة ، ان الموسوعات ليست جرائد تعتمد الاثارة او مجرد خزانات للمعارف ، بل هى على غرار موسوعة « دالمبير » و « ديدرو » وسيلة لتكوين الاراء يستقى منها الطلبة والباحثون

المعارف بكامل الثقة اذ تعتبر بمثابة كتب علمية ومراجع ثابتة . وفي هـذه الموسوعات الالمانية نقرأ فصولا عن العرب والتونسيين والبربر تتناول بالحديث مدينة تونس دون الاشارة الى البلاد التونسية اذ لا وجود عند هؤلاء لامة ولا لسكان متجانسين ونجد فيها تمييزا بين البربر والعرب والاتراك واليهود الذين يمثلون تكتلات وفسيفساء من الاجناس ، وحذار ان يتبادر للاذهان انه يوجد شعب واحد منصهر العناصر !...

وفيما يلي امثلة من الاحكام على مختلف العناصر المتساكنة بتـونس فـي القرن الثامن عشر مأخوذة من موسوعة « بروكهوس » الصادرة سنة 1818 (الجزء 1 - ص 8 - 59) فصل «البربر» تقول : البربر متوحشون ، اشداء ، ذوو هيبة ورشاقة ، يتمتعون بقوة بدنية كبرى ويتحملون الجوع وكل اشكال الحرمان بسهولة . ولكنهم يكرمون الضيف ويتجول المسافر في امان طالما كان تحت حمايتهم ، وهم لا يطيعون ملوكهم الا نظريا لفرط تمسكهم بحريتهم ويحاربون الجنود المكلفين بجمع الضرائب .

أما العرب فهم « الشعب الاكثر عددا من بين شعوب افريقيا الشماليـة ، وينقسمون هم ايضا الى صنفين : المغاربة سكان المدن ، والبدو وهم من الرحل الساكنين تحت الخيام . وهؤلاء هم احفاد المسلمين ، فارعو القامة ، اشداء ، ذوو قسمات وسيمة حية وعيون واسعة سود ، وابصار حادة ، وانوف معقوفة شيئا ما وأسنان منتظمة بيض كالعاج ولحى كثة وشعور سوداء » وتـلاحـظ الموسوعة انهم يبغضون النصارى ولكنهم اقل مكرا وغشا مـن البربـر أمـا « المغاربة » فتصفهم بانهم « حساد لا يؤمن لهم جانب قليلو المعاشرة ، منافقون قساة ، لا يعرفون حبا ولا صداقة ، بالاضافة الى انهم كسالى عاطلون الى درجة انهم يجلسون طوال ايام ، الى الحائط متربعين وهم ينظرون الى المارة في صمت كامل » . ويضيف فصل الموسوعة « لم يعد من اثر لتلك الثقافة الفكرية التي سموا اليها في ظل حكم افضل في اسبانيا خلال القرون الوسطـى . وهـم يتطيرون الى اقصى حد ، وان مجرد امتلاك كتاب يعد في نظرهم جريمة . ان « المغربي » لا يضحك مطلقا فهو جدي ومكبوت على ما يبدو ، يمسح على لحيته ولا تبدر عنه علامة فضول او حياة ، واكبر متعة لديه هي الذهاب الى الحمام وترشف القهوة والاستماع الى الحكايات » .

ثم نأتي الى الصنفين الاخرين ، اليهود والاتراك « الذين هم حسب موسوعة « بروكهوس » لصوص من اسوء الانواع وخلاصة الاجرام الدولي قد حولوا البلد

الى مسرح للجريمة والبؤس وجعلوا منه وكرا حقيقيا للقتلة ٠ وقد تسببوا فى ما اصاب الحضارة من أفول عام اذ نظموا اللصوصية والاتجار بالبشر وقد باؤوا بكراهية السكان الاصليين الذين يعانون من جبروتهم »

تلك اذن بضعة أحكام استقيناها من هذه الموسوعات التى تنعت بالعلمية والتى اثرت فى كثير من اجيال المدرسين والمثقفين الاوروبيين ٠ وبما انه ينبغى ان نشرب الكاس حتى الثمالة ، لنذكر ايضا ان موسوعة «زدلر» (ج 45 – سنة 1745 فصل : تونس) قد اصدرت بخصوص المراة التونسية احكاما لا يقبلها العقل ولا يمكن حملها حتى على سبيل الفكاهة ٠ تظهر موسوعة «زدلر» اذن مدينة تونس « كبؤرة للشهوات وتصف عادات النساء الموسرات عند استحمامهن فى البحر وكذلك الشوارع التى تعبق فيها العطور المنعشة عندما يعرض اصحاب الحوانيت منتوجاتهم فى المساء ٠ يضاف الى ذلك اريج اكليل الجبل والاصماغ ونباتات عطرة اخرى تحرق فى كل المواقد فتطهر كالبخور ، الهواء العفن المغثى المنبعث من القنال الذى يخترق مدينة تونس » . وتمتدح موسوعة «زدلر» كثيرا خصائص « اللازيس » (Lasis) وهو منشط جنسى يثير شهوة الرجال ، وتؤكد انه « من اجل ذلك تطعمهم نساء تونس اياه فى الكثير من الاحيان » ثم تشرح مفعول هذا المنشط كما يلى : « انه طعام يعد فى تونس اسمه «لازيس» يمكن ان نسميه ايضا «لاشيش» (حشيش ؟) عن الكلمة الالمانية (Lachen) بمعنى ضحك اذ ان الذى يتناوله ياخذ فى الضحك بصورة غير عادية وينهمك فى المزاح ، ويثير ذلك فيه شهية للاكل بحيث انه ياكل اكثر مما ياكله ثلاثة اشخاص مجتمعين وفوق ذلك فان «الحشيش» يحرك الجنس لذلك تقدمه النساء للرجال » ٠

ولكن موسوعة «زدلر» تنبه قراءها : « المرأة فى تونس مصابة الى حد كبير بالامراض التناسلية » ويعلق الاستاذ «رينر ريمنشنيدر » على ذلك بقوله : « لا ينبغى استنقاص اهمية مفعول هذا الخبر على القارىء فى عصر لم تظهر فيه البنيسيلين بعد ، وتحتل فيه علامة الافة ومداها وسلسلة الفصول عن مختلف الامراض التناسلية واعراضها والاجراءات الوقائية ووسائل العلاج وطرقه . اكثر من ١٥٥ صفحة فى موسوعة «زدلر» (ج 46 – 1745) ٠

تلك أمثلة بسيطة وانها لكثيرة بلا ريب فى عديد من البلدان الاخرى وهى تشرح انماطا من السلوك لم تزل قائمة الى اليوم ، اذ يفتتن الكثير بما هو غريب عنه وبالرشاقة الفلكلورية لدى الاهالى ، كما يلحون فى ابراز طيبتهم

وتلقائيتهم وحتى كرمهم ، ثم يمرون الى الامور الجدية اذ انهم راسخون فى عاداتهم الفكرية وفى شعورهم المريح بتفوقهم وبصفاء الضمير .

استخلص شخصيا من هذا ما يلى : ان مهمتنا التربوية وان نضالنا من اجل ثقافة انسانية الاتجاه وان عملنا من اجل اقرار الصداقة والسلام بين البشر لا تبلغ الهدف ما لم نتفق جميعا فى تحليل الاحداث والاحكام المسبقة والاوليات التى تميز العلاقات الحالية بين الشرق والغرب وما لم تكن لنا العزيمة الراسخة لتغيير الوضع باجتثاث اسبابه العميقة . ومن جملة الاعمال الواجب القيام بها اضع فى المقام الاول مراجعة برامج التعليم ليس فى العالم الثالث فقط بل وبالخصوص فى الاقطار الغربية ، وخاصة برامج التاريخ الذى يتعين اعادة كتابته وينبغى ايضا مراجعة الموسوعات وازالة ما فيها من طعوم العنصرية والجهل وهذا عمل عظيم يتطلب طول النفس من اجل ارساء صداقة دائمة بين البشر على قواعد قوية .

وهناك ايضا خطر اود شخصيا الاشارة اليه وهو يتراءى لى من خلال عدد من الفصول يكتبها مثقفون اكفاء يعترفون اليوم بضرورة فتح حوار بين الشمال والجنوب ويؤمنون فى صدق بتكامل الثقافات ولكن خضوعهم لضرب من التاريخ وتكيفهم به جعلاهم يتصورون انه لا بد لهم ان ينسبوا الى كل حضارة سمة واختصاصا مميزا . وهكذا يميز « هنرى دى لا باستيد » اربع حضارات عالمية كبرى ، واشد من ذلك سوءا انه يعين لكل منها قيمة خاصة : الفكر لاوروبا ، والكلمة للعالم العربى ، والرمز للصين واليابان والايقاع لافريقيا (انظر جريدة « لوموند » 7 نوفمبر 1975 . ألا ان كل هذا مغاير للحقيقة وخطير .

فالناس متساوون ولهم نفس القدرة على اكتساب نفس القيم وعلى الانصهار فيها .

ان الشعر والموسيقى والفلسفة والعلم ليست وقفا على شعب دون آخر والتاريخ هو الذى يكيف الناس ويشرح التاخر الفنى او العلمى لدى هذا الشعب او ذاك . فالتاكيد بان الفكر من خصائص الاوروبيين وان الافارقة ليسوا موهوبين الا فى « التام تام » (tam tam) مجحف صادم . وهذا الاوروبى « [illegible] » الخبير فى الايقاع والعارف ... للحكاية ، قد اتى بتكذيب دامغ لهذه التاكيدات التى لا تستند الى اصل .

يقول «بيجار» ليس الطفل الغربي باقل استعدادا للرقص من طفل افريقي او هندي · ليس ثمة مواهب عرقية · يقال مثلا : « ان الايقاع يجري في دم الزنوج » · انها للحماقة الكبرى ، فالايقاع ثقافة تكتسب ، ولقد قمت بتجربة في هذا المجال خلال تربص مع جماعة من الهواة من بين الذكور والاناث من مختلف الحرف ولم يمارسوا الرقص بتاتا · وكان من بينهم زنجي من الكنغو ولكنه ولد في بلجيكا وتلقى تربيته كبلجيكي متوسط . ولقد ابدى هذا الزنجي خلوا من الايقاع لا يصدق ، اذ كان اقل المشاركين استعدادا للرقص مما اثار استغراب الجميع : ماذا جرى ؟ هل هو مصاب بعاهة ؟ لم لا يرقص كبقية الزنوج ؟

وانها لفكرة عنصرية تلك التي تذهب الى الاعتقاد والقول بان الزنوج يمتازون بكذا والبيض بكذا ··· هذا غير صحيح · وانا مقتنع واعلم جيد العلم بان الاجناس كلها متساوية وليس هناك الا فوارق ثقافية · فالزنجي الذي يعيش في وسط زنجي يسمع فور ميلاده « التام تام » وحين يبلغ الرابعة او الخامسة من العمر يجري الايقاع في عروقه أما اذا سمع موسيقى إذاعة بلجيكا فانه يشبه عندما يكون في الخامسة اى طفل بلجيكي . وبنفس الطريقة اذا تربى طفل ابيض في اطار ايقاعي فان الايقاع يصبح جزءا من كيانه » .

ان الاستعمار والعنصرية والامبريالية الايديولوجية ، بالخصوص ، ليست غريبة عن استلاب الشعوب التي تنعت بالمتخلفة وعن تجمد مثقفيها . لكن الرجال هم الذين يصنعون التاريخ وهم الذين يحررون في اخر الامر انفسهم ويحررون طاقات الخلق والابداع فيهم ·

تلك هي جملة من الخواطر اوحى الى بها موضوع هذا الملتقى .

وآمل ان اكون قد اسهمت في شق الطريق نحو تعاون سليم بين بلدينا ونحو فتح حوار حقيقي بين الشرق والغرب يقع تصوره في اطار مصيرية التاريخ ، بعيدا عن كل الاعراض او الاعتبارات المصلحية العاجلة ، اذ ينبغي ان تكون لنا رؤية مستقبلية وفكرة واضحة عن العلاقات التي ينبغي ان تسير العالم وان لا نتردد في التشهير بكل الخلافات المبنية على سوء التفاهم وبذور الحقد والبغضاء ·

ان رائدنا في كل ما نقوم به من عمل يجب ان يقوم على الحفاظ على كرامة كل منا والحرص على تساوينا في الاسهام بقسط متعادل في تراث الانسانية المشترك ·

محمد مزالي

ثلاثة قصائد مسروقة من مخزن الفجيعة

شعر : يوسف رزوقة

1 – الدخول فجأة إلى ساحة المعجزات :

وأركب رأسي الجديد وأصرخ من شدة العشق :

هذا أوان الخروج من الجنّة المشتهاة

وهذا أوان الدّخول إلى ساحة المعجزات

وينتابني الحزن ساعة أكشف عن وجهك المتعفّن بالامرأة تشتهيني لدى لحظات المخاض العسير

وأهرب قبل التّوغّل فيك إلى قلبك الوثنيّ

على كتفيّ العصافير

والملح في مقلتيّ ...

وأغمد في قبة الثلج جرحي وأنتظر الآن كيف ستخرج من مدخل الجرح؟

والثلج كيف سيضنع للمشي ساقين من جذوة النّار ؟

كان انتظارى انتحارا بطيئا وقلبك بالامرأة مسختها الحضارة كان جدارا فقرّرت نفيك في اللاّشعور

وفي الحين ، بيني وبين المراعي البعيدة جدّا ، مددتُ الجُسور

وسافرتُ بالحُبّ ، سافرتْ بالشوق ، سافرتُ ...

كان العبور شهيّا وكنتُ الجريء أجيء متى شئتُ ،
هذا أوان الدّخول إلى ساحة المعجزاتِ ! ...

وهذا زمان الهبوط إلى الفوق والارتقاء إلى التّحت والإلتفات إلى الخلف ، هل أضحك الآن منك عليك أيا امرأة أفرغتني وللمرّة الألف

مافهمتني ؟

2 ـ أدخن سقارة التشفّي الأخيرة وأجهش بالبكاء :

زارني الحلم فأجهزت على مملكة العُقمِ
وراسلت دمي الواقف كالجندي في ساحة قلبي مستعدا للصّهيل
وتمطّتْ في عروقي الرّغبات . النّسمات
والسلحفاة تكون عادة سبّاقة بالوهمِ
لكن أريج المطر الزّائر دبّ في الخياشيم فكانت للسلحفاة
مسافات من العشق الجميل
في السّلحفاة رأيتُ الأجنحة
في السّلحفاة اكتشفت المذبحه
وتجيء ساعة الرجم
من الشّارع والشارع ياموِلاي مقهى للصّعاليك
وأرض خصبة للفقراء
وأنا ألقيتُ صوتي في صحاري الغرباء
ونشرت كلّ أحزاني على حبل الغسيل

* * *

أيّها السّادة : كل الأشقياء هنؤوني بوفاتي

ميتًا كنتُ وكانتْ جثتي لافتة في الشّارع الخلفيّ
والسّاعة في الصّف الأماميّ
تدقّ
وتدقّ
وتدقّ
وأنا أغرق في طمْي العرقْ
بضجيجي المتبقّي في رفاتي
يأخي ! هل أكتفي بالصمت أم أضحك حتّى يخرج الإنسان فوّارا من الموت
ـــ الجليد ؟
ها أنا أنهض من موتي
وأرمي في عميق الحزن صنّارة صوتي
لاصطياد الضّوء والحوت الّذي يحيا ويجري
خارج البحر ، واللحن الّذي يظهر بالوجه الجديد
فأنا زيتونة يسرح في أغصانها ماءٌ ودَمْ
وشعاري أن أقول للظّلام : لا وللضّوء : نعم ! ..

3 ـــ 1 + 1 = 1 ⟵ هي + وجهي = الحزن الأصيل ...

أختفي فيك أيا حمّالة الهمّ وفيك يختفي حزن العصافير
ولا أدري ، أيخشى سارق الورد صهيل الضّوء
أمْ يرحل كالعادة في حافظة النّوء
صَدَى رعْدٍ يدقّ الجرح تلو الجرح كي نرقص بالرّعب على جسر
المسامير ؟
وآه ! هذا ضجيج الفيضان يمتطي النّار ويأتي

ويدور دورتين حول بيتي
ثمّ من حيث أتى يرجع بالخيبة لا يلوي على علّة موتي
وأقول للغرانيق :
هو الجوع تعشى بمصاريني
ولا أعلم بالضّبط متى يبدأ تشييع الرّماد ؟
وأقول لصبايا قريتي :
منكنّ جاء الفرح الخاثر ، والدّمعة في أعينكنّ :
هـَرَمٌ أسكنه حين يقضّ مضجعي طيف السّكاكين
فهل أغرب عنكنّ
وفيكنّ اختفى الحلم الجنينيّ ومنكنّ :
تدلّى وجع المنجل في فصل الحصاد ؟.

* * *

أختفي فيك أيا حمّالة الهمّ وفيك يختفي حُزْني الأصيل
فكِلانا يعشق الدّرب الطّويل
وكلانا عاشقٌ طعم الرّحيل
وسوف نظل في كل المحطات
قطارا دائم الحُلم ، تناديه المسافات .

التربية التكاملية معناها ومداها

بقلم : محمد الفاضل الجمالي

بعد نحو من خمسين سنة من درس التربية وممارستها مازلت أشعر كطالب يستمر على الدرس والتفكير والاستقصاء فى شؤون التربية طالب يهمه دوما أن يحصل على المزيد من علوم التربية .

لما سمعت عن طريق الاذاعة (ليلة الثالث عشر من جويلية 1977) عن الظلام الذى خيم على مدينة نيويورك بانقطاع الكهرباء وما أعقب ذلك من سلب ونهب وتخريب مما سبب خسارة ملايين الدولارات والقاء القبض على نحو من (3500) شخص من المتلبسين بالجريمة سالت نفسى ما الذى تستطيع التربية ان تفعله لمواطنى اكثر بلاد العالم تقدما فى التقنيات ؟ لا شك فى أن المرء المنصف لا يعتبر المدرسة وحدها مسؤولة عن كل ما حدث فى تلك الليلة • فالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية كلها تساهم فى حمل المسؤولية ومع ذلك يظهر لى بأن على التربية ان تعنى بالناحية الباطنية عن النفس اذا شاءت ان تخلص لمهمتها • فصقل الانسان ظاهريا وترك الوحش الباطنى غير مهذب لا يكفى •

أنا شخصيا نشأت فى طفولتى وفق نظام تربوى قديم جدا ولما كبرت تأثرت بأحدث النظم التربوية وأكثرها تقدمية •

والآن اصبحت اعتقد بأن التطرف فى كلا الجهتين (التطرف فى المحافظة أو التطرف فى التجديد) غير صحيح • ولذلك فانى أقف اليوم على قارعة الطريق آخذا من القدماء حكمتهم وقيمهم الخالدة ومن المجددين أفضل ما عندهم من آراء تقدمية وتقنيات • وعليه فانى «تكاملى» فى التربية وأدعو الى فلسفة تربوية تكاملية . أى انى على استعداد لقبول كل فكرة أو تجربة تربوية صحيحة قديمة كانت او حديثة . واوحد الكل بانسجام بدون تحيز أو تردد . هذا وان ما سألقيه على مسامعكم الآن يمثل آرائى التى هى ثمرة خبرتى الطويلة التى دامت نحو نصف قرن من الدرس والممارسة • ولا أتوقع أن يتفق معى كل

السامعين في كل ما سأقوله ولكني أرجو من الجميع الاصغاء والتمعن فيما سأقول .

— ١ —

ان استمرار بقاء الانسان على هذه الكرة الارضية وكل ما انجزه من الامور الحسنة والنافعة بما في ذلك الفلسفة والعلوم والتقنيات والفنون والصناعات والتجارة والزراعة والحرية والعدالة ولائحة اعلان حقوق الانسان والتعاون الدولي والخدمات الاجتماعية واحترام حياة الآخرين وكرامتهم والمقاييس الاخلاقية والادبية الى غير ذلك هي في الغالب ثمرة التربية : **التربية الجيدة** .

وان كل علل الانسان وكل الشرور التي يصادفها المرء في حياته بما في ذلك الخوف والبغضاء والحسد والاعتداء والقسوة والتمييز العنصري والديني وانعدام الامانة والغرور والكبرياء والتعصب الاعمى والارهاب واختطاف الطائرات أو الاشخاص والسرقة والتحلل الخلقي الى غير ذلك كلها ترجع في الغالب اما الى **انعدام التربية** أو الى **سوء التربية** .

والتربية ليست مرادفة للحياة المدرسية أو التعلم من الكتب مع ان للحياة المدرسية وللتعلم من الكتب الدور الهام في التربية . فالتربية هي ثمرة كل الاختبارات التي يحصل عليها المرء في البيت وفي المدرسة وفي الحقل وفي الحانوت وفي ساحة اللعب وفي اماكن العبادة وفي النوادي وفي مراكز البلدية وفي رفقة العائلة والاصدقاء والزملاء . وحديثا اصبح للمتحف والمسرح والسنما والمذياع والتلفاز والصحافة ووسائل النقل والمواصلات كلها أصبح لها أهمية تربوية اذ كلها تؤثر على حياة الانسان اما للخير أو للشر . كما ان للهيئات والمنظمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التأثير التربوي الفعال في حياة الانسان .

وهذه العوامل التربوية كلها قد تسهل مهمة المدرسة فيما اذا توفرت **وحدة الهدف** وتحقق التعاون والارتباط فيما بينها وبين المدرسة . كما انها قد تمحي أو تهدم ما تبنيه المدرسة فيما اذا وقع تناقض أو تضارب في الاهداف والسياسات .

وكما ان نظرتنا الى العوامل التربوية ينبغي انتكون اوسع بكثير منالبرنامج المدرسي كذلك نظرتنا الى سنوات الدراسة . فانها لا تقتصر على السنوات المطاوبة للدراسة الرسمية . فالانسان يتربى أو تساء تربيته طوال حياته وفي كل خبرة جديدة يحصل عليها . وكما ان تربيته لا تنحصر في التعلم المدرسي

كذلك تعلمه المدرسي لا يصح ان يحدد بالسنوات الاولى من العمر . ومن المفيد ان نتعلم درسا تربويا من سيدة فى الولايات المتحدة الامريكية تخرجت من الجامعة حائزة على الاجازة فى الثانية والثمانين من عمرها !

— 2 —

ابدى الانسان من فجر تاريخه اهتماما خاصا بشؤون التربية . فمنذ أمد بعيد وقبل ان تنشأ المدارس انساق الانسان فطريا الى العناية بنسله وذلك يوم كان يعيش فى الكهوف او فى الغابات او على شواطىء البحر . هذا وان علم الانسان (الانثروبولوجى) يقدم لنا اليوم دروسا ثمينة فى التربية مارسها الانسان الابتدائى فقد كان يقوم بتربية ابنائه عن طريق الخبرة والمران والمشاركة فى معالجة شؤون الحياة واستثمار خيرات المحيط ومكافحة الاخطار الطارئة • وهو ما تدعو اليه احدث النظريات (الفلسفات) التربوية ••

ولذلك فقد أصبح درس موضوع «الانثروبولوجية التربوية» من المواضيع المفيدة للمعلم فى عصرنا هذا •

ولما ارتقى الانسان فى الحياة المدنية أنشأ المؤسسات التعليمية وعهد بمهمة التعليم الى أشخاص اختصوا بها •

فالمدنيات القديمة فى ما بين النهرين (العراق) وفى مصر والهند والصين وغيرها انتجت تراثها الثقافى وقام المعلمون بالاحتفاظ بهذا التراث ونقله الى الاجيال المتعاقبه • ثم ياتى فلاسفة اليونان العظام الذين وضعوا الفلسفات والاساليب الخاصة بهم . فتاريخ التربية مدين لعظماء الفلاسفة اليونان وفى مقدمتهم سقراط وافلاطون وأرسطو لما قدموه من جليل الخدمات فى تعريف معنى التربية وتقييم محتوياتها وابتداع اساليبها .

والى جانب أثينه وتراثها الفكرى فى اليونان وجدت سبارطة مع تأكيدها على تنشئة افراد شداد غلاظ ليصبحوا جنودا أشداء ولصوصا ماهرين .

وفى القرون الوسطى عنيت التربية الاروبية بتعاليم الكنيسة وبدراسة الادب الخالد بالدرجة الاولى • أما العالم الاسلامى فكان قد استقى مما عند اليونان والفرس والهنود وغيرهم من تراث فكرى حضارى فانتج حضارة جديدة متكاملة نمت فيها العلوم والفلسفة الى جانب الدين .

ثم ننتقل الى حملة مشعل التربية الحديثة وفى مقدمتهم كومينيوس وروسو وبستالتي وهربارت وفروبل • أما فى هذا القرن فقد قام مفكرون عظام فى

حقل التربية فى معظم بلاد العالم المتحضر وها نحن ننعم بثمار أفكارهم وتوجيهاتهم .

وفى الحقيقة ان من يدرس تاريخ التربية يتعرف على الحقائق والحكم فى كل مدرسة من المدارس الفكرية وجدت فى حقبة معينة وفى ظروف خاصة لتجابه مشاكل الانسان فيها وتحقق طموحه وآماله . فالتربية تمثل حياة الانسان كما كانت وكما هى اليوم وكما يريدها أن تكون فى المستقبل ولذلك فاى تعريف للتربية مهما عنى فى صوغه لن يكون كاملا او أزليا .

فكل واحدة من الفلسفات أو النظم المتعددة للتربية تؤكد عادة على ناحية من الحياة فى حقبة معينة من التاريخ على حساب النواحى الاخرى . فتارة تؤكد التربية على الايمان بالله واطاعة الكنيسة وتارة تؤكد على اكتساب الحقائق العلمية والقضايا الفكرية وتارة تؤكد على غرس الاخلاق والسجايا الفاضلة وفى بعض الاصول تؤكد على الانضباط وطاعة الدولة وفى أحوال أخرى تؤكد على الحرية . وأحيانا تمجد الفردية بينما فى ظروف اخرى تمجد الجماعية .

– 3 –

كنتيجة لنشوء العلم الحديث والتقنيات والثورة الصناعية من جهة ولقيام الحركات القومية والدمقراطية فى البلاد الغربية من جهة اخرى تطور المحتوى التربوى وأصبحت أهمية التربية لبناء الدولة العصرية على جانب عظيم من الوضوح والاهمية . ولذلك فقد صار الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكذلك رجال السياسة والاقتصاد ورجال الدين يعنون بشؤون التربية عناية فائقة . ففى قرننا العشرين هذا أصبحت التربية أداة فعالة يطلب اليها ان تؤدى خدمات جوهرية لعقائدية سياسية معينة كالشيوعية او الفاشية او النازية أو الاشتراكية الديمقراطية كما يطلب اليها ان تكون فى خدمة ديانة معينة كاليهودية او الكاثوليكية او البرتستانية او الاسلام او المذهب الانسانى او العقيدة الماركسية الى غير ذلك .

هذا وان التربية الحديثة حين اكدت على العلوم المادية والتقنيات أهملت نسبيا التأكيد على خصائص الانسان الروحية والاخلاقية . وكانت نتيجة ذلك قيام أزمات اجتماعية وسياسية واخلاقية خطيرة فى حياة الانسان المعاصر . فقد انشطر العالم الى أغنياء وفقراء والى أقوياء وضعفاء . وان خيرات الارض وهى المنبع الرئيسى لقوة الانسان وحياته صارت تبذر وتبعثر . والانسانية ما زالت منقسمة على نفسها على أسس العنصر واللون والجنس والطائفة

الدينية والطبقة والاقليم واللغة . وما زال سوء التفاهم والاستغلال والاعتداء متفشيا بين الافراد والشعوب يصحب كل ذلك الرفض والهدم والعنف . هذه هى الثمرة لتربية تؤكد على ناحية من الحياة على حساب الناحية الاخرى ليس من ينكر بان قوة الانسان الحديث وبلوغه القمة فى السيطرة على الطبيعة هو الثمرة المباشرة لتسلحه بالعلوم وبالتقنيات ولكن العلوم والتقنيات تصبح من العوامل المؤدية الى هلاك الانسان ما لم تهتد بهدى المبادىء الاخلاقية ولا سيما اذا استعملت القنابل الهدروجينية والنترونية فى حرب محتملة .

ان المفهومة التقليدية للتربية اكدت على تعلم محتويات الكتب وحفظها على حساب التعلم المنتج والتدريب العملى . فقد انفصلت المدرسة عن الحياة وفقدت الاتصال بعناصر الطبيعة الى حد كبير . فكانت النتيجة ان نجد احيانا رجال فكر لم يهيأوا التهيئة الكافية لممارسة الاعمال . كما قد نلاقى رجال عمل يعوزهم القدر الكافى من العلم . ثم ان المجتمعات التقليدية منحت الامتيازات السخية للتعلم عن طريق الكتب بينما هى خفضت قيمة العمل اليدوى . ونتيجة لذلك اكتظاظ معاهد التعليم العالى ببعض الطلاب الذين جاؤوا للمعاهد العالية لا حبا بالعلم ورغبة فى تحقيق الكمال الذاتى بل لمجرد الحصول على الشهادة الاكاديمية التى تخولهم الحصول على مرتبات أعلى . وهـذا بدوره أدى الـى هبـوط المستويات العلمية فى بعض الحالات . ولقد زاد عدد حاملى الشهادات الاكاديمية فعلا على حاجة بلادهم فى بعض البلدان مما جعل البعض منهم ينضمون الـى صفوف العاطلين ومن السهل كسب العاطلين واقحامهم فى زمرة المشاغبين والهدامين .

هذا وان الفصل بين العلم والعمل هو مشكلة اجتماعية وتربوية عالميـة تحتاج الى حل جذرى ولا سيما فى البلاد النامية .

— 4 —

ان أخطر فجوة فى العديد من الانظمة التعليمية السائدة فى العالم اليوم هى فى الحقل الروحى ــ الاخلاقى : فالاهمال النسبى للنواحى الروحية ــ الاخلاقية فى التربية من جهة وانتشار العقائديات الخاطئة او الهدامة من جهة أخـرى أديا الى انحسار الاعتقاد بالله وبالنظام الكونى ذلك الاعتقاد الذى يغذى النفس بالطمأنينة والامل ، والى التراخى فى المقاييس والقيم الاخلاقيـة والسمـاح بالتحلل الخلقى وضعف الانضباط الذاتى والسيطرة على النفس .

ولذلك تفاقمت الشرور المعاصرة كخطف الافراد والقرصنة الجوية والادمان

على المسكرات والمخدرات وانتشر الانهيار العصبي والشعور بالغربة والعزلة بين الناس ولا سيما الشبان والشابات .

ثم ان العمل المرهق والتنافس الحاد المطلوبين لتأمين حاجات الفرد المادية في عصرنا هذا الى جانب السرعة الفائقة التي يتحرك بها الانسان الى جانب المؤثرات الحسية من سمعية وبصرية كالسنما والتلفاز والاذاعة والاعلامات تجعل الانسان الحديث قلقا دائما ويعيش على أعصابه .

فالانسان يحتاج الى الاستقرار والانسجام في داخل ذاته وفيما بينه وبين محيطه الاجتماعي وفيما بينه وبين محيطه الطبيعي وفيما بينه وبين الكون ككل وفيما بينه وبين خالق الكون . والمطلوب من التربية ان تنمي الطمانينة والانسجام بين الافراد والجماعات وذلك بتبني فلسفة منسجمة تشتمل على الايمان بالقصد الكوني وما يشتمل عليه من نظام طبيعي واجتماعي ثم التأكيد على مقاييس اخلاقية تشجع الامانة والغيرية والمحبة والعفة بين بني البشر جميعهم .

— 5 —

يتضح لنا من كل ما ذكرناه بأن الانسانية محتاجة اليوم الى مفهومة جديدة للتربية مفهومة نابعة من نظرة أبعد وأعمق وأشمل لحياة الانسان ورسالته على هذه الكرة الارضية . وها نحن نقترح النقاط التالية التي بتوحيدها وترابطها تجسم لنا هذه المفهومة التربوية الجديدة :

(1) علينا ان ننظر الى الانسان ككائن عضوي فعال مترابط مع الكون كله . فهو من سكان هذه الارض العاملين . وهو مترابط ومتفاعل مع كل ما على الكرة الارضية وما في باطنها وما حولها من كائنات وعناصر حية وغير حية . وبوصفه من سكان هذه الارض فانه يتأثر مباشرة من الاجرام السماوية ومن الكون كله فعليه ان يعي الوحدة والعقد الموجودين في النظام الكوني فرؤية الكل (الشمول) اذن تصبح المبدأ الاول في المفهومة التربوية الجديدة .

(2) على الانسان ان يكتشف لنفسه ويعي بان أجزاء الكون كلها مترابطة ومتفاعلة وأن حياة كل فرد وعمله لهما ارتباط واتصال « بالكل » فمفهومة الترابط اى التوحيد اذن لا تصبح احدى المبادىء الاساسية في المفهومة التربوية الجديدة .

(3) ان الكون كله بما فيه الارض وبزوغ الانسان على الارض انما تخضع

لمخطط أعظم يسير وفق نواميس طبيعية واجتماعية على الانسان ان يقوم باكتشافها ومعرفتها .

وما الانبياء والرسل والعلماء والاساتذة الا مربون ومعلمون يعرفون الانسان بهذه النواميس . ومن الامتيازات التى خص بها الانسان أداة « العقل المفكر » اذ به يكتشف الانسان هذه النواميس وبه يستطيع ان يكيف حياته على ضوء هذه النواميس . أما اذا رفضها او جهلها او تجاهلها فانه يلقى مصيره المحتوم. اذن فالمفهومة الجديدة للتربية ينبغى أن تشتمل على احترام النواميس الكونية .

(4) الكون كله بما فى ذلك الكرة الارضية وعليها الانسان هو عرضة للتطور والتغير . فالكل ليس ساكنا بل حراكيا على الدوام . وتطور الانسان ماديا يصاحبه تطوره الفكرى والخلاق . وليس من الضرورى ان يؤسس هذا التطور على مبدإ تنازع البقاء وليس من الضرورى ان يكون دمويا همجيا . بل يمكن تحقيقه بمجهود الانسان التعاونى الخلاق .

وهنا يكمن مجال الارشاد التربوى الذى للمعلم فيه الدور البارز فى تجديد البناء الانسانى . اذن فالمفهومة الجديدة للتربية ينبغى أن تشتمل على مبدأ التطور الخلاق .

(5) الانسجام والتكامل وليس الفوضى والصراع ينبغى ان يصبح من المقومات الاساسية للمفهومة الجديدة للتربية . يطيب لى دوما ان اتصور المجتمع البشرى وما يحتويه من انواع الشخصيات الانسانية كجوقة موسيقية كبرى تقوم بأداء سمفونية كبرى منسجمة حيث يسعى كل فرد لاداء دوره بسرور واتقان فى الجوقة الموسيقية . فالانسجام والتكامل يصبح من أهم المميزات للمفهومة الجديدة للتربية . الانسجام فى داخل نفس الفرد ذاته ، الانسجام فى داخل العائلة الواحدة ، الانسجام فى كيان الامة ، الانسجام بين الامم .

(6) المفهومة الجديدة للتربية تستهدف تنمية الانسان الفرد ككل . فالانسان ليس عبارة عن جسم وفكر فحسب . انه فوق ذلك كائن روحى أخلاقى . عواطفه وميوله النفسية وامكاناته الفنية ينبغى ان يفسح لها المجال الكافى لتنمو وتزدهر فى مواقف حياتية واقعية .

فالاقتصار على التعلم عن طريق الكتب بدون ربط ذلك بالحياة وبدون اعطاء الفرد الفرصة ليفكر ويهضم ويجرب ويتلذذ لا يحقق كل اغراض التربية المتكاملة .

الفعل التربوى المتكامل ينبغى ان يؤسس على الدوافع الفطرية للانسان وان يحتوى على النواحى الفكرية والعاطفية والايرادية لسلوك الانسان ٠

(7) المفهومة الجديدة للتربية تعنى بالفروق الفردية ٠ لما كانت قابليات **الافراد ومواهبهم منوعة وتختلف من فرد لآخر الامر الذى يلبى احتياجات** المجتمع الى تقسيم العمل بين الافراد من جهة ويؤدى الى الرقى والابداع فى حقول **منوعة من الحياة من الجهة الاخرى وجبت العناية الفردية بكل انسان لاكتشاف** مواهبه ومؤهلاته واستثمارها احسن استثمار وهذا يتطلب جعل الاسلوب **التربوى افراديا من جهة وجماعيا من الجهة الاخرى .**

(8) المفهومة الجديدة للتربية تحمل الانسان على ادراك موقعه الممتاز على هذه الكرة الارضية ٠ فقد منح الانسان قوة **الادراك والفهم والتفكير والخلق والفعل . كل هذه ينبغى ان توجه الى فعل الخير نحو الانسان نفسه ونحو الآخرين . وفى** وسع الانسان لو تربى تربية صالحة ان **يتولى بناء المدينة** الفاضلة « مدينة الله » على هذه الكرة الارضية بدون اسراف أو فساد ٠ اذن **فالسعى لتحقيق** رسالة الانسان السامية **فى هذه الحياة يصبح أعظم عنصر فى** المفهومة التربوية الجديدة ٠

أما وقد استعرضنا بايجاز الميزات التى تتميز بها المفهومة التربوية الجديدة فنحاول الآن تعريف التربية على الوجه التالى :

« التربية هى المسعى المقصود لدى الانسان كفرد وكجماعة لينمى كل امكاناته المادية والعقلية والروحية تنمية منسجمة فيحقق بذلك دوام بقاء الانسان وتراثه الخالد وليضمن استمرار رقيه فى تحقيق رسالته على هذه الكرة الارضية » ٠

ـ 6 ـ

ولتربية الانسان تربية متكاملة منسجمة نامية لابد من أن تكون للتربية فى نظرنا الاهداف التالية :

(1) السلامة والصحة الجسدية والعقلية : فالمطلوب من التربية ان تزود الانسان بالمعرفة والميول النفسية والعادات التى تضمن صحته الشخصية وسلامته ٠ فتجنب حوادث الطرق والبيت والمعمل وساحة اللعب من الامور البديهية ٠

وتعلم السباحة وممارستها يؤدى غرضى الصحة والسلامة معا . كما يؤمل أن تغرس عادات النظافة والاكل الصحى والنوم الكافى والرياضة والراحة ، وان تعرف الفرد باخطار التدخين والمسكرات والمخدرات والامراض المعدية ٠

ونحن على يقين بأن التربية لو عملت لتحقيق هدف السلامة والصحة الجسدية والعقلية لاستطاعت ان تقلل من الخسائر فى الارواح وان تقتصد فى الوقت الذى يقضى فى فراش المرض بحيث يصرف هذا الوقت فى نشاط مثمر ٠

(2) **الحياة العائلية السعيدة** : ينبغى ان تصبح من اهداف التربية الاساسية فالرجال والنساء من حقهم ان يربوا على معرفة متطلبات وشروط الحياة العائلية السعيدة . ينبغى تعريفهم بالمقومات النفسية والاجتماعية للعائلة وبالاقتصاد العائلى وبضروريات التغذية والطبخ والتدبير المنزلى والعناية بالطفل والتنظيم العائلى . وتحذيرهم من اخطار الفوضى والتحلل فى العلاقات الجنسية الامر الذى يهدد الحياة العائلية فى عصرنا هذا وذلك باسم الحرية !

أضف الى ذلك تفشى الطلاق والاسقاط فى بعض المجتمعات التى تدعى الرقى والتقدمية .! فالمهم أن يقضى على سوء التربية او الجهالة فى الشؤون العائلية وذلك بالتأكيد على قدسية العلاقة العائلية واهميتها لبقاء النوع وقوة الامة .

(3) تأسيس الاتصال والترابط الاجتماعى : لما كانت اللغة هى الاداة الفعالة فى تحقيق الاتصال الاجتماعى فالمطلوب من التربية ان تجعل الفرد يحسن التكلم والقراءة والكتابة فى لغته القومية ليستطيع الاتصال ببنى قومه فلغة الكلام ولغة الارقام كلاهما ضروريان للتعامل مع الغير ٠ كما ولابد من تنشئه الفرد على ممارسة الحياة الدمقراطية والآداب الاجتماعية وحسن التصرف مع الغير ٠ ولما كثر الاتصال والترابط بين الاقوام شرقا وغربا أصبح تعلم لغة أجنبية واحدة على الاقل من ضرورات عصرنا هذا ٠

ولا حاجة للقول بأن تعلم اللغة الاجنبية هذا ينبغى ان يكون وظيفيا مرتبطا بالحياة وليس شيئا جامدا مفروضا ٠

(4) غرس الانتماء والولاء الشامل : الانسان بطبيعته ينتمى الى جماعة ويعيش فى جو اجتماعى . فهو ينتمى الى عائلة ثم الى مدينة (ولاية) ثم الى اقليم ثم الى أمة ثم الى قارة ثم الى الانسانية الشاملة. وقبل كل ذلك وبعده فانه ينتمى الى الله تعالى ٠ ان هذه الانتماءات المتصاعدة تتطلب **ولاء** هو شعور بالارتباط وبالاخلاص واستعداد للخدمة والتضحية ٠ فولاء المرء لامته ولوطنه يتطلب

المشاركة وتحمل المسؤولية فى تسيير شؤون البلاد كما يتطلب التفكير والشعور فى ساحة أوسع من ساحة بلده الذى ينتمى اليه بحيث يتجرد المرء من الغرور القومى ومن الشوفينية • فمبدأ « اعمل لغيرك ما تريد أن يعمله الغير لك » ينبغى ان يسود العالم أجمع بحيث تقل الانانية وتذوب الخلافات بين شعوب العالم ذلك اذا شئنا تحقيق السلام وضمان الانسجام للمجتمعات البشـريـة كافة • فالمطلوب من التربية ان تستهدف غرس الانتماء والولاء فى الفرد للامة وللوطن وللحضارة على أن يستهدف هذا الولاء اثراء الانسانية جمعاء وعلى ان يكون منبعثا عن أسمى الدوافع الاخلاقية او الروحية .

(5) ممارسة العمل المنتج وكسب الرزق : فالتربية ينبغى أن تغذى الطفل من سنواته الاولى فى الحياة بحب العمل النافع الجدى • فالانسان ينبغى ان يدرك بأن اى عمل يقوم به لخير الانسان هو عمل شريف فالمدارس التى تهمل العمل اليدوى انما تقدم تربية ناقصة • ففى العديد من البلاد النامية تقتصر التربية على عملية حفظ ما فى الكتاب أى ان التربية تفسر بأنها التعلم من الكتب وحفظ ما جاء فيها . ولذلك فالعديد ممن يقصدون المدارس انما يفعلون ذلك للتخلص من ممارسة العمل اليدوى. واحسن علاج لذلك هو «خدمة العمل» : Arbeitdient التى بموجبها يطلب من كل انسان ان يمارس عملا يدويا (فى التراب او فى المعمل) مهما كان نوع اختصاصه . فالعمل اليدوى هو وسيلة ارتزاق لمن يختاره وهو هواية لمن يختار مهنة أخرى • فالمطلوب من التربية أن تنشر حب العمل واتقانه من جهة وان تتأكد من عدم تخريج عناصر طفيلية فى المجتمع من الجهة الاخرى •

(6) تنمية الروح العلمى : التربية الحديثة ترشد الانسان ليمارس الملاحظة الدقيقة وحب الفحص واكتشاف الحقائق بدون تحيز او مبالغة . فجمع المعلومات والتساؤل عن صحتها والرجوع الى المصادر الاساسيـة والى الاشيـاء ذاتهـا لمشاهدتها مباشرة هو من أهم واجبات التربية فى عصرنا هذا • نحن نعيش فى عصر العلوم والتقنيات وهذا يتطلب من كل منا تقدير الانجازات العلميـــة وآثرها فى حياة الانسان اليومية وفى مصير الانسانية جمعاء • وهذا بدوره يتطلب اتساع افقنا الفكرى . فالمطلوب من التربية الحديثة ان تعلمنا بان على الانسان ان يكون دوما باحثا وراء الحقيقة وأن المعلومات العلمية هى عرضـة للتصحيح والتنقيح على ضوء المعلومات العلمية المتنامية والاساليب والوسائل العلمية المحسنة •

(7) التسلية والتمتع بالفنون الجميلة : ان *انتشار المكائن الاتـومـيـة* فـى

عصرنا هذا يوفر للانسان الوقت الكافي للتمتع بالفنون الجميلة وبجمال الطبيعة وبالتأمل في عجائب الخلقية . ان اوقات الفراغ في حد ذاتها قد تصبح هادمة للاخلاق والسجايا الكريمة فيمااذا صرفت في تناول المسكرات ولعب القمار أو الصخب والعبث ولذلك فنحن نعتقد ان التربية تستطيع ان تنشيء الفرد بحيث يحسن التصرف بما يتوفر له من وقت ولا سيما في أيام العطل في ممارسة الموسيقى والرسم والتصوير والنحت والشعر والتمثيل او في الاعمال اليدوية كالنجارة والفلاحة والميكانيك ؛ أو في التطوع في خدمات اجتماعية في منظمات انسانية كاسعاف الشيوخ والعجزة او زيارة المستشفيات ودور الايتام الى غير ذلك؛ او في رحلات كشافية وسياحية داخل البلاد وخارجها . هذا وان هذه الاعمال والهوايات تزود المرء بالسرور في حياته من جهة وتنشيط الابداع الفردي والابتكار من الجهة الاخرى ٠

(8) التفتح على العالم . بفضل وسائل النقل الحديثة ووسائل الاعلام المؤثرة تقلصت الكرة الارضية وانحسرت المسافات عمليا ففي ظرف دقائق معدودة يمكن نقل الانباء من قارة الى قارة الاخرى ٠ ثم ان النصف الاول من هذا القرن قد شهد حربين عالميتين طاحنتين فحرب عالمية ثالثة تستعمل فيها القنابل الهدروجنية والنتروتية قد تسبب فناء النوع البشرى على هذه الكرة الارضية . وعليه فلا نتردد في القول بأن على الانسان المعاصر ان يتفتح على العالم وان يتعرف على المشاكل والاخطار التي تجابه الانسان الحديث ٠ انها قضية حياة او ممات للانسانية جمعاء .والمطلوب من التربية أن تضطلع بهذه المسؤولية فتعرف المرء بالاخطار من جهة وبالمنظمات والجهود التي بذلت لدرء الاخطار من الجهة الاخرى ٠ ومن المنظمات التي تعنى بمصير الانسان وازدهاره منظمة الامم المتحدة والمؤسسات المتحدة معها كمنظمة التغذية والزراعة ومنظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولى الخ ... فالانسان الحديث ينبغي أن يزود بالمعرفة والاستعداد للتعاون في مشاريع السلام والرفاه لكل انحاء العالم كما ينبغي ان يربى على شجب كل تفرقة أو تمييز بين بنى البشر على اساس العنصر او اللون او الدين او الطبقة أو الجنس الى غير ذلك وأن يدرك بأن السلام العالمي يتطلب ممارسة التسامح والتعاون واحترام حقوق الانسان بين بنى البشر ٠ وان يلجأ الى المصالحة والتحكيم والوساطة في حل المشاكل والخلافات عوضا عن المجابهة واستعمال وسائل الحرب والدمار ٠

فلو تحقق ذلك وعادت حكومات العالم الى منطق الحق والاخاء عوضا عن

منطق القوة والاستعلاء لوفرت **مئات ألوف ملايين الدولارات** سنويا من التسلح وصرفها على التعليم وعلى الانعاش الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والروحى لشعوب الارض كافة . ان تحقيق ذلك يتطلب ايمانا وشجاعة . وعلى التربية ان تساهم فى غرس هذا الايمان وهذه الشجاعة .

(9) تجديد البناء الاخلاقى . ان كل أهداف التربية المار ذكرها :

الصحة ، الحياة العائلية السعيدة ، الرابطة الاجتماعية ، الولاء ، الانتاج الاقتصادى ، النزعة العلمية ، التمتع بالفن ، التفتح على العالم كل هذه الاهداف تتوقف على الموقف الاخلاقى الذى يتخذه المرء ازاء هذه القضايا . فالاخلاق هى الشرط الاساسى لجودة الحياة . وان اعظم مشكلة يجابهها الانسان المعاصر هى عدم الاتفاق على معايير اخلاقية مقبولة لدى الجميع بحيث يستطيع الافراد والشعوب أن يتعايشوا على اساسها بسلام وانسجام . هذا وان المعايير الاربعة للتسلح الخلقى وهى الامانة (النزاهة) المطلقة والغيرية المطلقة والمحبة المطلقة والعفة المطلقة قد تزودنا بمؤشرات نيرة على طريق التربية الاخلاقية . لقد سبق لى ان قلت فى المؤتمر الآسيوى - الافريقى (المنعقد فى باندونغ ربيع سنة 1955) « لايمكن تحقيق نزع سلاح حقيقى بين دول العالم ما لم يتحقق لدينا تسلح خلقى » . ان معظم أمراض المجتمع الانسانى اليوم ترجع الى ضعف فى الضمير الاخلاقى . فالمطلوب من التربية أن تعلم الناس كيف يغيرون سلوكهم كأفراد وكجماعات ليعيشوا وفق معايير اخلاقية صحيحة . وفى نظرى ان اللائحة العالمية لاعلان حقوق الانسان تحتاج الى تنقيح وتوسيع بحيث تتضمن معايير والتزامات أخلاقية لكل أفراد العالم وشعوبه .

القدوة الحسنة والارشاد المشاركة فى الخبرات ينبغى ان تصبح الاساليب التربوية المتبعة فى البيت وفى المدرسة وفى المجتمع . فالامانة والغيرية والمحبة والعفة ينبغى ان تملأ الاجواء فى المؤسسات التربوية ذلك مع تشجيع الافصاح عن الذات والتلقائية . كما يشجع الانضباط الذاتى والاعتماد على شرف المرء وضميره الى جانب لحظات التأمل وطلب الهداية من الخالق عز وجل .

(10) الحياة الروحية كل نواحى التربية بما فى ذلك الناحية الاخلاقية تعتمد على النشوء الروحى للانسان . ان اعظم ميزه يمتاز بها الانسان هى حياته الروحية . ولسوء حظ الانسان المعاصر ان هذه الناحية من حياته أصبحت مغمورة بالمادية . والحياة الروحية فى نظرنا تعنى قابلية الانسان ان يسمو بنفسه ليرى وحدة الخليقة كلها ويرى علاقته بالخليقة فيدرك أن هناك مثلا

أعلى يستطيع ان يرتقي لينتهي اليه . نحن المسلمين ندعوه « الله » . وبالانكليزية يدعى «غور» . واليهود يدعونه «يهوا» انه اله ابراهيم . ان الاعتقاد بخالق الكون يزود الانسان بمثل عليا يسعى للارتقاء اليها ؛ كما انه يزود الانسان بادراكه أنه خاضع لقوانين كونية تتفرع منها القوانين الطبيعية والاجتماعية وعليه مسؤولية اكتشاف هذه القوانين والانسجام معها .

اني اعتقد ان قادة الاديان العظام منهم موسى وعيسى ومحمد كانوا أعظم مربين عرفتهم البشرية وان تعاليمهم الاخلاقية والروحية زودت البشرية بالخير والصلاح • وفي نظرى ان العالم اليوم لا يحتاج الى اديان جديدة ويكفينا ان ندرس ونطبق التعالم الصحيحة الصادقة التى جاء بها قادة اديانا .

يطلب من التربية الدينية ان تصبح قوة ايجابية تقود البشرية الى الوحدة والى الحياة الخيرة كما يطلب منها ان تشجب الانقسام والتعصب الاعمى . هذا وان الدين لا يجوز ان يصبح مناهضا للعلم وللحقيقة العلمية اذ أن الحقيقة العلمية نابعة من قوانين كونية هى من اساس الدين وهى من صنع الخالق عز وجل •

— 7 —

ان الاهداف العشرة للتربية والتى ذكرناها بايجاز توا تكون المعنى الواقعى للتربية المتكاملة • انها تترابط مع بعضها وقد بسطناها بشكل تصاعدى مبتدئين من اسفل بالصحة والسلام الجسدية والعقلية وانتهينا صعودا الى الايمان بالله . فى رأيى ان هذه الاهداف تكون وحدة متكاملة للحياة الانسانية وتشكل ما هو المقصود بالتربية الاساسية وهى الحد الادنى لما ينبغى ان يحصل عليه كل انسان متمدن فى عصرنا هذا • وتحقيق ذلك يتطلب مجهودا جبارا وعملا تعاونيا من لدن الوالدين والهيئات التعليمية ومن المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية • فكل هذه الجهات ينبغى ان تتظافر لتعطى التربية معناها الحقيقى الشامل .

— 8 —

قبل الانتهاء اود التأكيد على نقطتين :

الاولى هى ان التربية بمعناها الشامل كانت فى البداية من اختصاص العائلة على الاكثر ثم اصبحت من اختصاص المجتمع عامة والدولة خاصة فاتخذت قالبا نظاميا • فنشأت فى القالب النظامى هذا امتيازات جعلت الاستفادة من التربية من نصيب نخبة ممتازة • ولكن الاوضاع قد تطورت **فالتربية اليوم ينبغى ان تحظى باهتمام البشرية كلها** وان يحصل عليها بنو الانسان فى كل مكان .

فأجزاء العالم قد تشابك بعضها ببعض بفضل وسائط النقل ووسائل الاعلام فاصبح تأثير نوعية التربية فى مجتمع ما او دولة ما لا يقتصر على ذلك المجتمع او تلك الدولة فقط بل يؤثر على الجسم البشرى كله مهما كان بعيدا . فان الصراع الاجتماعى او السياسى او العقائدى فى بلد ما لا يمكن ان يعزل عن بقية العالم فاذا حدث ما يقلق فى بلد ما فى آسية او افريقية او امريكة اللاتينية بسبب نقص فى التربية او بسبب سوء التربية فان البشرية قاطبة تتأثر من ذلك . فان كان الاروبيون اوالامريكيون يفكرون فى مصالح بلادهم متناسين حاجات البلاد النامية فى نظمهم التعليمية فالعالم كله سيجابه المشاكل .

خلال الحرب العالمية الثانية نشر المستر ، وندل ويلكى ، المرشح لرئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة آنذاك كتابا عنوانه « عالم واحد » . ففى الناحية المادية قد حققت الانسانية فعلا عالما واحدا ٠ اما فكريا وروحيا فأمامنا طريق طويل قبل تحقيق هذا الهدف . لتحقيق ذلك علينا ان نتأكد من ان تفكيرنا التربوى وعملنا التربوى يسيران فى هذا الاتجاه ٠ ولذلك فالمطلوب من منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومن كل اعضائهـا أن يعملوا على جعل التربية تحقق مفهومة العالم الواحد كما ان عليهم ان يراقبوا ويحذروا من مواطن الضعف او الخطر فى أى نظام تعليمى فى أية بقعة من بقاع العالم ٠

والنقطة الثانية التى وددت التأكيد عليها هى ان ما اقترحته ليس مجـرد نظرية او حلم مثالى ٠ انه استجابة لموقف واقعى فى حياتنا المعاصرة لانى اعتقد أن هناك سباقا اليوم بين « التربية » وبين « الكارثة » ٠ فالانسانية اليوم هى على حافة الهاوية . فما لم تقم التربية بمعناها الشامل بفحص ذاتها وتعيد بناء ذاتها بحيث تصبح فعلا تربية شاملة وموحدة ومنسجمة وتقدمية للبشرية جميعها فالخطر محقق !

فهل لنا أن نأمل بان يتعاون مربو العالم جميعهم على توحيد البشرية فـى ظل رب واحد وقيم اخلاقية واحدة وحقائق علمية موحدة ؟ الامر يتطلب من كل منا ان نعتبر **عمله التربوى رسالة** الى جانب كونه مهنة . وان يستعد لحمل هذه الرسالة الى البشرية كافة ٠

(*) محاضرة القيت باللغة الانقليزية فى اسبوع التربية وعلم النفـس فـى سالزبورغ (النمسة) فى 28 اوت 1977

البدايات والنهايات

شعر : محي الدين خريف

— 1 —

طلّ جرح الشذا . وتردى السليك بهوة أحلامه
لم يكن ذاك وقع السنابك فوق الحصى
لم يكن هسهسات المياه على الرمل
أو عودة القبرات مع نسمات المساء
لم يكن رجع نوح . ولم يك صوت حداء
لم يكن كلّ ذاك
ولـكنها شارة من نهايات هذا الطريق
انّها السّفن القادمات وهذا المضيق
ليس تدري الطيور على أيّ أرض ستنزل
ليس تدري متى هي جاءت
وفي أيّ وقت سترحل

— 2 —

طمأنتني الاساطير حين وُلدتُ على مهدها
هدهدتني فأغفيتُ

يصبح ميلاد شخص كحلم يمرّ بأجفان أسيان
يصبح تاريخه من بدايات هذا الزمان
وحتّى نهايات هذا الزمان
فمري الحرف يندى على شفة الزهر
مر نخل واحاتنا يتنهّد غربه
ليس غيرك من شرب الحزن .
من بعد كأس المحبّه

— 3 —

للسواحل همّ ، وللموج في بلد الحزن هم
وللام شغل العناكب تنسج بالليل ما
سوف تنكثه حين تغفو عيون اللصوص
خذ يد الطفل علّمه يا صاحبي كيف يمشي
وكيف يضمّ التراب
قل له حين يقرأ خارطة للعذاب
في المآذن كانت بداياتنا
يزهر الغصن حين يشخّص حلم الطفوله
قم معي كي نرتل حزب الرياح التي لعبت
بغدائر ليلى الجميله
ونبيّن للنّار ما أكلت بين يوم وليله

أنا ما شبت يوما ولا هرمت في دياري الخيول
ولا شيّعتني الى مرفإ الابديه
جموع النسور التي تستذل الدموع العصيّه
لواقح هذي الغصون وهذي الرياح لواقح
ومن بعد كلّ الثلوج التي باكرت بالجوالح
ستشرق شمس
كأنّ كنوز الدهاقين قد بعثروها على
مفرش من تراب نَقِيِ
ومن خلف ما حجب الغيم لاح محيا نَبِيِ
ومن جاحم النار ما ليس يخبو
وما لا يموت
قل لهم حين تفرغ منا البيوت
انّ فِي مقعد الفجر من يتصدّى لفتح البيوت

نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى

بقلم : البشير بن سلامة

لم يزل علماء اللغة العربية ينكبون على قضايا الفصحى بحثا وتنقيبا ودراسة وتنظيرا وتطبيقا . وان المؤلفات المتداولة بين الناس فى هذا الباب والمعروفة لدى اهل الاختصاص تعد بالمئات والمئات ، لان الاهتمام باللغة هو فى الواقع اهتمام بحياة الانسان وما من أمة أهملت لغتها ولم تنمها الا وعرضت نفسها للذوبان فى غيرها ، وسارت حثيثة الى الانتحار .

لهذا فان كل الامم الحية اهتمت وتهتم بطرق تنمية لغتها حتى تبقى دائما مستجيبة لمتطلبات الحياة فلا تتأخر عن ركب الامم الاخرى ولا تبقى مستهلكة ، بل خلاقة علما بأنه لا يمكن الخلق مهما كان علما او تقنية او أدبا الا فى اللغة الام : هى سنة من سنن الكون لا « حيلة » فى تبديلها ولا مناص من الخضوع اليها .

وان اهل العربية تسابقوا منذ القديم فى بحث طرق نمو اللغة ودراستها وما زالوا الى الان ومعهم المستشرقون يستقصون اسرار العربية ويضبطون القوانين التى سمحت وتسمح بتنميتها وجعلها تواكب اللغات الحية الاخرى . واهتموا خاصة بالالفاظ وظواهر تغيرها وقالوا بالقياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والاقتراض وتوسعوا فى هذه الظواهر بصورة مدهشة ، ولكنهم لم يولوا نفس العناية بالجملة وخاصة بنواميس تغيرها لا من حيث التراكيب بل من حيث موسيقاها ونبراتها وايقاعاتها وبكلمة اوضح بهذا الذى يجعل الجملة متعانقة مع الحياة الحية ، معبرة عن حركية الواقع وتموجاته منطلقة الى القفز فى مجاهل المستقبل لا تشدها روابط الماضي ، الا بالقدر الذى يحفظها من السقوط ويقيها من الجمود .

نعم اهتم الباحثون والدارسون بموسيقى الشعر واوزانه ولكنهم لم يفيضوا فى سر حيويته وحركيته وهو الايقاع اللهم الا فى هذه السنوات الاخيرة ولست

بحاجة الى اعادة ما كتبته منذ سنة 1969 فى هذا الباب ودونته فى كتاب بعنوان (اللغة العربية ومشاكل الكتابة) (1) خاصة اننى انوى فى هذا البحث التقدم اشواطا فى بعض الاراء التى صدعت بها فى هذا الكتاب وهى ما زالت تحتاج الى المواصلة فى مجال التجربة والتجريب . وان الذى يثلج الصدر هـو ان عـدة دراسات اتجهت الاتجاه الصحيح فى دراسة الايقاع وخرجت عن المسارب التى تردى فيها كثير من العلماء احقابا واحقابا ولم يتمكنوا من الخروج منها الى مسارب اخرى تؤدى الى الغاية المنشودة فى العثور عن حقيقة اسرار حيوية العـربيـة الفصحى ، ويكفينى راحة للضمير ان كنت الدافع الى بعض هذه الدراسات سواء اشار اصحابها الى ذلك ام لم يشيروا .

واذا كان اهل العربية لم ينتبهوا كثيرا الى ضرورة اعداد قاموس ايتيمولوجى يضبط قصة الالفاظ العربية وتطور معانيها حسب الفترات والاعلام فانه مـن باب اولى واحرى الا يتفطنوا الى دراسة تطور الايقاعات فى الجملة العربية على حسب العصور والاعلام وان هم اهتموا من حين لاخر بصورة من الايقاعات فى الشعر عن طريق البحور والاوزان والحال ان اهم ما يظهر من تغير للايقاع فى الجملة العربية هو فى النثر قبل كل شيء . وهو ظاهر بارز عند عباقرة العربية يحس به كل قارىء مطلع ويعزوه النحاة الى تطور فى التركيب او من بـاب اقتراض الاساليب من اللغات الاجنبية من دون ان يغوصوا الى اعمق من هذا .

واذا هم علموا واكدوا ان بالاسلوب تتغاير الكتابات ولاحظـوا ان الجملـة العربية تطورت ونمت بعوامل عديدة اجتماعيـة ونفسانيـة وغيرهـا فانهـم لم يخرجوا بهذا المفهوم ــ اى الاسلوب ــ من الغموض الذى يكتنفه ، وراحوا يخلطون بين المبتدع والمقلد بينما بينت سابقا ان هناك الاسلوب مـن جهـة واللغة التجاوز (2) من جهة اخرى وان الذين طوروا الجملة العربية النثريـة على حسب مفهوم اللغة التجاوز قلة قليلة من امثال عبد الحميد الكاتب وابـن المقفع والجاحظ والتوحيدى وابو الفرج الاصبهانى وابن خلدون وطه حسين ومحمود المسعدى بقطع النظر عن الجملة الشعرية واقطابها .

ولئن وجهت الاسلوبية الحديثة البحث والدراسة وجهة جديدة بالاعتمـاد على الالسنية فانها لم تفد الدراسات اللغوية العربية اذ هـى مـا زالـت فـى

(1) اللغة العربية ومشاكل الكتابة ، الدار التونسية للنشر 1971 .
(2) نفس المرجع . الفصل الرابع من الباب الثالث ص . 186 ــ 190 .

خطواتها الاولى لم تهضم مفاهيمها بعد ، او هي لم تبلغ دعوتها بعض لغويينا الاكارم . ولهذا فان الوجهة الصحيحة للبحث لا تتجه هذا الاتجاه بل هي في ظني من الواجب ان تسلك المسلك الذي به تصل الى ضبط الوحدة الايقاعية في الجملة العربية سواء الشعرية منها او النثرية .

وقد نبهت بالنسبة للشعر الى ان التفعيلة لا يمكن ان تكون وحدة ايقاعية بل هي وحدة عروضية او دائرية تقريبية (I) وعرضت حينذاك اقتراحا من حسن الحظ ان تجاوزته دراسات هاملة صدرت في ذلك وركزت البحث نحو هذا الاتجاه وافادت كثيرا ، ومن واجبي ان أنبه اليها لانها ستفيدنا في فهم النظرية التي سأعرضها بعد حين .

اريد ان أذكر قبل ذلك بكتاب الدكتور محمد طارق الكاتب ، ولو انه لم يبحث عن الوحدة الايقاعية لا لشيء الا لانه خرج عن الطرق القديمة اذ أقر طريقة

التسلسل	الصفة	المصطلح العروضي	المصطلح بالارقام الثنائية	المصطلح بالارقام العشرية
I	حرف متحرك واحد	لا يوجد	0	0
2	حرف ساكن واحد	لا يوجد	I	I
3	حرف متحرك ثم حرف ساكن	سبب خفيف	I0	2
4	حرفان متحركان ثم حرف ساكن	وتد مجموع	I00	4
5	ثلاثة احرف متحركة ثم حرف ساكن	فاصلة صغرى	I000	8
6	اربعة احرف متحركة ثم حرف ساكن	فاصلة كبرى	I0·000	I6

(I) انظر كتاب اللغة العربية ومشاكل الكتابة تاليف البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر I97I ، الفصل الثالث من الباب الثاني ص. ص. II9 . I28 .

اخرى فى ضبط موازين الشعر العربى باستعمال الارقام الثنائية (1) وترجم المصطلحات العرضية المعروفة ثم التفاعيل بالارقام الثنائية وضبطها فى مثل الجدول الموجود بصفحة 46 .

ولعل هذه الدراسة الهامة ونتائجها صالحة لتستعمل عن طريق الدماغ الالكترونى لغاية الظفر بالوحدة الايقاعية فى الشعر العربى .

وان ما كتبه الدكتور كمال ابوديب كبديل جذرى لعروض الخليل فى كتابه فى البنية الايقاعية للشعر العربى (2) لجدير بالعناية اذ انه يصل الى ان الايقاع العربى لا يخرج عن وحدتين ايقاعيتين (فا) و (علن) ثم هو يجد بعد ذلك ثالثة (علتن) . ولعله على صواب لان ذلك يوافق ما عرفته السليقة العربية منذ القديم اذ جاء (3) « فى التوشيح الوافى والترشيح الشافى فى شرح التأليف الكافى فى علمى العروض والقوافى لابن حجر العسقلانى ـ بعد اسقاط السند ـ عن الحسين بن يزيد انه قال سالت الخليل عن علم العروض فقلت هل عرفت له اصلا ؟ قال نعم ، مررت بالمدينة حاجا فبينما انا فى مسالكها اذ نظرت لشيخ على باب دار وهو يعلم غلاما وهو يقول له :

نعم لا نعم لا لا نعم لـلا = نعم لا نعم لا لا نعم لـلا

فدنوت منه وسلمت عليه ، وقلت له ايها الشيخ ما الذى تقوله لهذا الصبى ؟ فقال هذا علم يتوارثه هؤلاء عن سلفهم وهو عندهم يسمى التنعيم قلت لم سموه بذلك ؟ قال لقولهم نعم نعم ، قال الخليل فقضيت الحج ثم رجعت فأحكمته ، وفى بغية المستفيد من العروض الجديد للاستاذ على ابو الخشب ما نصه : فبما بروى عن الخليل نفسه انه كان بالصحراء فرأى رجلا قد اجلس ابنه بين يديه واخذ يردد على سمعه « نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا » مرتين فسأله عن هذا فقال انه التنغيم بالغين المعجمة ـ نعلمه لصبياننا . وقد تكون

---

(1) الدكتور محمد طارق الكاتب ، موازين الشعر العربى باستعمال الارقام الثنائية البصرة 1971 .

(2) الدكتور كمال ابو ديب ، فى البنية الايقاعية الشعر العربى (نحو بديل جذرى لعروض الخليل ومقدمة فى علم الايقاع المقارن ، دار العلم للملايين بيروت 1974 .

(3) العروض تهذيبه واعادة تدوينه صنعه الشيخ جلال الحنفى ، الجمهورية العراقية وزارة الاوقاف مطبعة العانى بغداد 1978 .

لهذا النص قيمة تاريخية مقبولة ولكن مما يجب ان يعلم ان الرواية لا تشير الى ان ذلك كان معروفا لدى الشعراء فى الجاهلية او كان ذلك من بعض أدبهـم ، وما نسب الى أمرىء القيس من مثل قوله =

ألا لا ألا الا = ألا لا ألا الى

فعولن مفاعيلن = فعولن مفاعلن

لا يمكن ان يكون الا شيئا وضع لوزن الشعر بعد عصر الجاهلية ، فالحـق بأبيات امرىء القيس او ادعى له ، او انه مما صنعه المؤدبون فى العصر الاموى لتحفيظ الشعر وضبط الفاظه ونصوصه وأوزانه » (1) .

ولو ان الخليل ابن احمد اتجه الى البحث عن الوحدة الايقاعية فى لا ونعم ولم يخرج لنا بالتفعيلة وفضله على كل انه لم يخرج بالصمت عن لا ونعـم مثـل حبيبة بشار (2) لكان تطور الشعر العربى تطورا آخر (ربما) .

يصل كمال ابو ديب اذن الى هذه النتيجة وهى انه فى « مقدورنا ان نصف الايقاع الشعرى بطريقة تستقى من النظرة النووية فى العلوم وانما بشكل مبسط اذا أخذنا النواة (علن) على انها نقطة التمركز الايقاعية والعنصر الايجابى الدائم ووضعنا النواة (فا) فى سياقها او النواة (علتن) استطعنا ان نرسم نماذج من الشكل التالى =

(علن) ـــــــــــ فا

(علن) ـــــــــــ فا فا

(علن) ـــــــــــ فا فا فا

فـــا ـــــ (علن) فا

فا فا ـــــ (علن) فا

« ويمكننا بهذه الطريقة تقديم وصف نووى لكل التشكلات المعروفـة فـى الشعر العربى التناظرى وللتشكلات التى نماها الشعر العربى المعاصر لكـن الواضـح ، طبعا ، ان حركة الايقاع وعلاقات النوى فيه ، حركية أفقية تفرضها

---

(1) المرجع السابق ص 24 و 25

(2) اشارة الى البيت = واذا قلت لها جودى لنا = خرجت بالصمت عن لاونعم

طبيعة اللغة ذاتها بكونها تتابعات صوتية ، بتمثيل كهذا يمتنع تحجر المركبات في وحدات منعزلة كبيرة ويتلافى الخطر الاعظم الذى احاط بنظام الخليل وحوله الى قوالب جامدة لم تعد تعكس حركة الحيوية والقرار فى الكلمة العربية النابضة بالحياة الباحثة ابدا عن قرار . » (1)

وليست غاية هذه الدراسة هى تلخيص نظرية الدكتور ابو ديب لان النتائج التى وصل أليها تحتاج الى نقاش طويل خاصة وان عمله جاد وعلمى لكن الذى يهمنى هو انه توصل الى ايجاد وحدة ايقاعية يمكن تطبيقها على الشعر العربى العمودى والحر وحتى الخارج عن هذين الصنفين اذ هو اثبت ان شعر ادونيس يخضع لهذه الوحدة الايقاعية وانه شعر وليس بنثر . هذا موضوع آخر يطول شرحه فى هذه العجالة وسيجد ان شاء الله مكانه فى الكتاب الذى يحمل نفس عنوان البحث .

كما ان احمد الطاهر فى كتابه الشعر الملحون الجزائرى ايقاعه وبحوره واشكاله (2) توصل فيما يخص الشعر الملحون الجزائرى الى الظفر بمقطع سماه المبالغ فى الطول وقال : « اذا كان الايقاع هو عودة انطباعات سمعية متماثلة على فترات من الوقت متشابهة فانه يمكن القول ان الايقاع فى الملحون يعتمد تعادل عدد المقاطع فى كل مصراع من نفس الجنس وعودة نفس عدد المقاطع المبالغة فى الطول فى مواضع متماثلة المصارع ، وبصورة اخرى فانه يكون للبيتين نفس الايقاع اذا استوفيا الشروط التالية :

– أ – نفس عدد المقاطع فى كل مصراع من نفس الجنس

– ب نفس عدد المبالغة فى الطول فى المصارع

– ج – نفس الرتبة بالنسبة لكل مقطع مبالغ فى الطول فى المصارع

واذا اختل شرط من هذه الشروط فان البيتين ليس لهما ايقاع واحد » (3).

---

(1) كمال ابو ديب ، فى البنية الايقاعية للشعر العربى ، ص 98 .

(2) Ahmed Tahar La poésie populaire algérienne (Malhun) S.N.E.D. Alger 1975.

(3) نفس المرجع ص 91 .

وهكذا فان احمد الطاهر لم ياخذ بعين الاعتبار النظام الكمى الخليلى ولا النظام النبرى وكانه ارتضى النظام المقطعى الذى سار عليه الشعر الفرنسى ولم يعطنا فى الواقع قياسا مضبوطا للمقاطع بينما انواع المقاطع كثيرة .

ونأتى الى عمل آخر اعتبره مهما جدا ويحتاج الى تقييم جاد وهو ما قام بـه صديقنا الاستاذ محمد العياشى . وانى لا اريد ان انقد كتابه (1) نظرية ايقاع الشعر العربى لا لشىء الا لانى لم استوف النظر فيه بصورة كاملة وانما الذى يخرج به قارىء الكتاب قراءة سريعة غير متأنية هو انه كتاب فيه تجديد فـى النظرة ووضوح واكتمال فى مسألة الايقاع اكثر من غيره من الدراسات واعتقد انه سيساهم مساهمة كبيرة فى تغيير نظرة المهتمين بالشعر العربى خاصة انه استعان بالموسيقى وترقيمها وهو امر ليس بالصعب ادراكه وحل مشاكل عديدة لم يقدر الخليل على الاجابة عنها ، ولا بد ان ارجع اليه بصورة مستفيضة فى وقت لاحق مع تنبيه الصديق الاستاذ الى ضرورة الاشارة الى مراجعـه بكـل دقة فى طبعة ثانية .

اما ما يهمنى الان هو ان الكاتب توصل الى ايجاد عنصرين فى الايقـاع :

- عنصر مقصور خفيف ويستغرق من الوقت قدر وحدة قيمة
- عنصر ممدود ثقيل ويستغرق من الوقت قدر وحدتى قيمة .

واعطى الى كل عنصر ترقيما موسيقيا . فالعنصر الخفيف يناسب المقطع القصير (ف) والعنصر الممدود يناسب المقطع الطويل مثل (نا) او (فى) او (تل) (بتسكين اللام) ولكنه يبين فيما بعد ان هناك من العناصر ما تسمـى هـاضمة واخرى مهضومة ويعطيها ترقيما خاصا . وكانها فى الواقع ترجع الى ما يسمى بالمقاطع الطويلة المنبرة (accentué) وغير المنبرة (atone) وكنت نبهت اليهـا عندما تحدثت عن الخلايا الايقاعية فى كتابى الآنف الذكر . غير ان الاستاذ محمد العياشى اعطاها قيمة مضبوطة اذ المنبرة عنده تساوى وحدة قيـمـية ونصف وحدة قيمية ، بحيث ان =

المقطع القصير = 1

والمقطع الطويل = 2

---

(1) محمد العياشى ، نظرية ايقاع الشعر العربى ، المطبعة العصرية ، تونس ، سنة 1976 .

والمقطع الطويل المنبر = 2،5
والمقطع القصير غير المنبر = 0،5

وعلى كل فانني ذكرت هذا لانني ساستعمل ما وصل اليه محمد العياشي من الاستنتاجات التي هي اضبط مما وصل اليه الخليل ويمكن تطبيقها حتى على النثر وذلك في انتظار ايجاد مقاييس مضبوطة عن طريق الالة وخاصة مسجل الذبذبة بأشعة مهبطية (oscillographe cathodique) المنسق مع ضابط الصوت (sonométre)

اخلص الان الى النظرية التي اريد عرضها والتي سميتها التطعيم الايقاعي فاقول « ان كل عبقري اضفى على الجملة العربية نمطا جديدا غير به ايقاع صياغته ونظامها فانه قدر في الحقيقة على اقحام ايقاعات لهجته العامية المحلية في الفصحى وتطعيم صوغه بهذه الايقاعات من كلامه » ومعنى هذا انني ادعي ان امثال ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذاني والتوحيدي وابن خلدون وابونواس واباالعتاهية والشابي ومحمود المسعدي وغيرهم قدطعموا شعرهم او نثرهم بايقاعات لهجاتهم المحلية بدون ان يشعروا بذلك لقدرة حباهم الله بها لان اللغة العربية الفصحى باعجازها وطاقتها الكبرى قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكامنة في نحوها مع الارتباط بواقع اهلها المتحول المتحرك الذي تعتبر اللهجة المحلية جزءا منه يحمل خلاصة الحياة المعاشة ويترجم عنها احق ترجمة ولكن تبقى الفصحى دائما هي القادرة على السمو بذلك الواقع وتلك الحياة وهذا سر من اسرار بقائها ٠

واني اريد ان انبه مرة اخرى انني لا ادعو الى العامية ولا الى الاستعاضة عن الفصحى بلهجة من اللهجات واقول هذا رفعا لكل التباس وردا على من يتربصون باعمالنا سواء في تونس او خارجها ولا يناقشوننا في صلب نظرياتنا وانما يلبسوننا جبة خيانة الامة العربية او يرموننا بالاقليمية وهي « موضة » متداولة ويا للاسف في العالم العربي اليوم لما تردى فيه معظم الفكر العربي الطافي على السطح من دركات وما اصاب الامة العربية من ضعف في مستوى الاخلاق الا من رحم ربنا . ذلك ان العلم لا يستنكف من دراسة اى موضوع مهما كان حراما او سفسافا للوصول الى الحقيقة . ولو علم القوم لادركوا أن هذه النظرية تسد في الواقع الباب على كل من يدعو الى العامية لانها تثبت ان الفصحى قادرة على امتصاص حيوية اللهجات للسمو بها .

ومعنى هذا انني ادعو الى دراسة اللهجة المحلية للكاتب العبقري او الشاعر المبدع من حيث ايقاعاتها ونظامها ثم ابحث في ادبه عن هذه الايقاعات ٠ وقد

قمت لا محالة بشيء شبيه بهذا عندما كتبت عن ابن المقفع (1) وابن رشيق (2) وطه حسين (3) ولكنني لم اعط امثلة مستفيضة مضبوطة لانني حينذاك لم اظفر بعد بالنظام الايقاعي المقارن ٠

وساحاول في هذ العرض ان اطبق هذه النظرية على طه حسين والشابي ومحمود المسعدي مع العلم ان هذا النوع من العمل يحتاج الى امثلة كثيرة جدا ولا يمكن ان تكون الا ضمن كتاب ٠

يقول طه حسن = « ولك ان تنظر في اى لون من الوان العلم والادب والفن التي تدرس في مصر والتي ينتج فيها العلماء والادباء والفنانـون المصريـون فسترى انها مطبوعة بالطابع المصرى القوى القومى الذى لم يستطع الزمان ان يمحوه او يعفى اثاره سترى فيها هذا الذوق المصرى الذى هو ليس ابتساما خالصا ولا عبوسا خالصا ولكنه شيء بين ذلك فيه كثير من الابتهاج وفيه قليل من الابتئاس ٠ وسترى فيه هذه النفس المصرية التي تجمع بين الجدية والقدم والتي تثب الى امام وكأنها تستأني وقد تقف من حيث تستاني وقد تقف من حين لاخر لتنظر الى وراء سترى فيها الاعتدال المصرى الذى يشتق من اعتدال الجو المصرى والذى يأبى على الحياة المصرية ان تسرف في التجديد » .

واذا ترجمنا هذا على حسب الايقاعات كما حددها نظام محمد العياشي وجدنا ان هناك كمية من المقاطع كبيرة (تثب الى الامام) فكمية اخرى اقل منهـا (تستأني) فكمية اضعف (تقف) ثم تسترسل الجملة من جديد على نفس النمط ٠

لناخذ فقرة من كتاب علي وبنوه لطه حسين يقول = وقد كان يرى انه احق الناس / بالخلافة منذ وفاة النبي / ولكنه / صبر / حين صرفت عنه / الى الخلفاء الذين سبقوه / فلما جاءته الخلافة / لم تجئه صفوا / ولا عفوا / ٠ »

---

(1) تطور الجملة العربية عند المولدين ، مجلة الفكر السنة 17 العدد 1 اكتوبر 1971 ص ٠ ص ٠ 33 الى 37 ٠

(2) ابن رشيق الاديب الافريقي ، مجلة الفكر ، السنة 20 العدد 8 ، ماى 1975 ص ٠ ص ٠ 4 الى 14 ٠

(3) طه حسين بين الكلام واللغة مجلة الفكر السنة 20 العدد 7 أفريل 1975 ص ٠ ص ٠ 4 الى 16 وهي دراسة قدمت في الذكرى الاولى لوفاة الدكتور طه حسين التي انتظمت بالقاهرة من 26 الى 28 نوفمبر 1975 ٠

انظر الى صواب هذا التقطيع عندما وافق نوعا من القوافى المتمثلة فى كثرة الهاءات والمختومة بواوين ولو عددنا الكميات الايقاعية لوجدنا على التوالى : 13 ـ 8 ـ 18 ـ 7 ـ 4 ـ 11 ـ 18 ـ 17 ـ 11 ـ 7 ـ وهى فى تغايرها مع موسيقاها تترجم حقيقة عما وصفه طه حسين خلافا لما درج عليه الكتاب العرب القدامى من توازى الكميات الايقاعية مع الملاحظة انه يجدر بنا هنا دراسة العامية المصرية وضبط خصائصها الايقاعية ولكننى ارجىء هذا الى وقت آخر لمزيد الاستقصاء .

ولناخذ الان امثلة تونسية ونقتصر على الشابى ومحمود المسعدى • يقول محمد العياشى « العامية التونسية فقدت المقطع المقصور تماما واصبحت تقوم على المقاطع الممدودة لا غير وابتداؤوا بالساكن والفصحى لا تقبل ذلك مطلقا لانهم لا يبتدؤون بساكن ولا يقفون على متحرك فيقول عروس بتسكين العين ويقولون كريم بتسكين الكاف ووالوا بين الساكنين فيقولون باش مات بتسكين الشين والتاء والفصحى ترفض وتخضع الى المبدأ الذى يقول = اذا التقى ساكنان يحذف ما سبق وكان كل ذلك نتيجة لتصرفهم فى اللغة وتحللهم من مبدا الاعراب والدليل ان حركة الايقاع تخضع فى تركيبها الى مبادىء اللغة ومقتضياتها هو استحالة استعمال ايقاعات الشعر الفصيح فى الشعر الملحون مع اللهجة العامية التونسية وذلك لان المقطع المقصور فى هذه اللغة مفقود تماما • فاضطر الشعر الى استنباط ايقاعات اخرى تتلاءم مع لغتهم » •

ومعنى هذا ان هناك خليتين ايقاعيتين هما (فما) و (فال) بتسكين اللام وليس من الصعب التكهن بطبيعة الحركة فى جملة تكون مبدؤها بساكن وعلى مقاييس فى مثل هذه الحدة • وليس من الغريب ان نجد الشابى يكثر من استعمال الخبب (فى اصطلاح العياشى) الذى اهمله الخليل ولم ينتبه اليه نظرا الى ان العرب تستعمله كثيرا وان الحركة الايقاعية المستعملة لا تتناسب كثيرا مع الايقاعات من نوع (فا) و (فال) وليس غريبا ايضا ان يكون الحصرى الافريقى هو الذى وفق فى وزن الخبب (فى اصلاح العياشى) وابدع فى قصيده المعروف (يا ليل الصب) اما الشابى فقد استعمل الخبب فى قصيدته:

خلقت طليقا كطيف النسيم وحرا كنور الضحى فى سماه ؟

انظر تتابع الساكنين فى آخر البيت الى جانب استعمال الخبب • اما اذا كتبناه على حسب ما رآه محمد العياشى وسماه الروى المقلوب الساكن مع الختم العارى فيصير البيت =

اس خلقت طليقا كطيف النسيـــــم وحرا كنور الضحى فى سما

ه تغـرد كالطيرايـن اندفعـ ت وتشدو بما شاء وحـى الالا

وقد يمكن ان يكون دليلا آخر على نوع من الابتداء بالساكن الذى لا تعرفه الفصحى زد على ذلك فان قافية الهاء الساكنة موجودة فى عدة قصائد (ما يقرب من ست عشرة قصيدة) • اما القصائد التى تنتهى بساكنين فهى عديدة ايضا (اكثر من ربع ديوانه) •

اما بالنسبة لمحمود المسعدى فتامل الحركة الايقاعية فى كلام هواتف السد وفى اسم (صاهباء) ومقياسها (فا فا فال) دائما فى الممدود لا المقصور حتى ان ميمونة عندما قالت :

ما صاهبى يا غيلان

اجابها الهاتف ـ

لا تحرفى قومى الاسم • هو بالمد لا بالقصر •

وغيلان الذى على وزن (فافال) وميمونة وزنها (فا فا فا) وهلهبا • هل هذا كله من محض الصدفة ؟ كلها ايقاعات تلقاها الكاتب من البيئة التى يعيش فيها والشواهد كثيرة سواء فى السد و حدث ابو هريرة قال •

هذه لمحات اولى عن نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى وهـى افتـراض بطبيعة الحال يحتاج الى أدلة أوفى مما ذكرت ولكننى اعتقد ان الماضى فى هذا الاتجاه يفتح لنا ابوابا من البحث ويكشف عن اسرار ما زالت اللغـة العربيـة تخبئها عنا •

واكثر من هذا فانه يفضى الى نتائج جد خطيرة لها ارتباط بمسلمات ما زال يتعلق بها كثيرون ويكبلون من جرائها لغتهم وتطور حياتهم ايضا .

البشير بن سلامة

ثلاثية التـوق ..

قصة : نعيمة الصيد

① التــوق :

رغبة شفافة تسطو على روحها ... تسخرها تمتلكها بقسوة حد الشفرة ... ترمى بها فى الطريق كل صبـاح تلهـث وراء الحـافلة العرجـاء ... علبـة السردين .. الراكب فيها مسلوبة منه انسانيته ... ومـا أكثـر السـالبين والمسلوبين فى هذا العالم القذر ...

الضغط مؤلم داخل الحافلة ... البشر فى حالة يوم الحشر ...

السائق كثيرا ما تجده غير مدرب على قيادة الحافلات ... يطرح الراكبين طرحا كلما اتفق له ذلك ... مع خراب الطريق والحفر المملوءة ببقايـا ميـاه الامطـار ...

الوجوه واجمة ... لا تنبض ... لا تبتسم ...

قالت امرأة ذات عيون مسكونة بشمس من جليد لاخرى :

ـ مللت البقاء على هذه الحالة ..

ـ لمـاذا ؟

ـ اننى منذ سنوات أسعى الى امتلاك منزل آوى اليه .. وسيارة تأخذنى الى عملى وتريحنى من هذا الذبح المتكرر .. لكن رغم التقشف لم استطع ..

ـ انت حمقـاء ..

ـ أطلب المستحيل .. هكذا منذ نعومة أظفارى ..

كنت وأنا طفلة صغيرة بعد ان ينام كل أفراد العائلة أجلس في بهو المنزل أتأمل السماء .. أختار انصع النجوم .. أقول هذه نجمتي .. استلقى على البلاط .. أحكي لها كل أحداث يومي الى ان يجرفني النعاس دون أن يشعر بوجودي احد .. وكثيرا ما اصاب ببرد .. ولما صرت شابة اصوغ من أحلامي فارسا رائعا .. يأخذني فوق جواده بعيدا .. بعيدا .. نطير .. نلحق بالشمس .. نزرع الحب في ثغرها نحفره في صدر النجوم ..

قالت ذلك وانفجرت تدسها في بكاء داخلي .

تقف الحافلة في محطة معينة .. تتدحرج المرأة ذات العيون المسكونة بشمس من جليد .. تهبط .. يتلقفها الطريق .. رطوبة الجو تتسلل نسمة الى صدرها تطفيء من غليانه .. ضجيج الشارع يبتلعها .. يملأ رأسها .. يشعرها بالدوار .

العمل هو الشيء الذي ترتاح اليه .. لا تتعامل معه بالمقدار وبالحساب ..

هي تنفق بسخاء ما بنفسها وتعتبره عملية حب تمارسها بلذة وشراهة ووحشية .. وتجد متعتها فيها ..

تصل .. تنهار على المقعد .. تغرق في جنباته .. يحنو على جسمها ويضمه بحنان وشفقة ..

تتصفح جريدة الصباح المفعمة بالأسى والحزن ..

أخبار مزورة ..

أكاذيب فاضحة ..

بطاقات الموت الملونة تحملها الى أقاصي العالم .. هناك حيث تقلع أشجار كانت تحمل قوت مئات الاطفال الفقراء ..

تحفر مذكراتها العارية .. هكذا تواجه العالم عارية دون ان تخجل من عريها .. مؤمنة بعفويتها .. ببراءتها .. بنقاوة نفسها ..

② **المسخ :**

أمس صفعت الرجل ذا بسمة الانثى اللعوب .. يظهر بها الجيد ويجعله يطفو على السطح ليعكس صنفا ممتازا تحته النتن ذو اللون الباهت ، والرائحة الكريهة ..

كثيرا ما كانت تتحمله صامتة عله يفهم انها صنف آخر .. صنف يعطى ما بنفسه من خير لكل الناس دون تمييز أو خلفيات فى عصر لا يعطى بلا مقابل ..

المناصب لا معنى لها عندها ..

منصب الشخص هو انسانيته وطيبته وصدقه .. فى عينيها سحر عجيب .. يكشف لها الوجوه مباشرة .. يعكسها انى داخلها بكل اصباغها الملونة .. وكان حدسا صادقا فى كشف الاشياء ..

رأت ان الصمت موقف سلبى .. فانفجرت وحطت لعنتها فى يمينها وقذفت بها وجهه المفلطح اللامع من أثار (لكرام) فاذا بالقناع يتمزق .. والحقيقة تتعرى واذا به ممسوخ .

③ **الانفجار :**

طلبت من حبيبها ذات يوم أن ينطلقا فى رحلة صيد .. ضيد الافق البعيد حيث المستحيل والاحلام التى لم يخدشها هذا العالم الشقى المجنون .. العالم الرعب .. السحق .. قالت له :

لنهرب الى مسافات الافق القصية نبش فى أعماقها عن الجزر المجهولة .. نتيه فى طرقاته .. نبحث عن الغرابة .. عن الوجود الذى لن يضيع .. عن اللحظات التى لن تنفجر وتندثر فى قاع الرعب .. ونضحك للعالم بجرأة .. ونتعانق لننتقم من سنوات البعد المدفونة فى ضلوعى .. ثم نرجع تعبين نتكوم وسط السيارة .. وصوت المغنية الغض ينساب من (الكاسات) .. القى برأسى يستريح على كتفك .. يعب الحنان .. الدفء .. ينغرس فى قلب الامان . وأغفو .. وأحلم بالمدن الجميلة المزروعة بنزعة جنون الحب خارج هذه الايام المرصودة ..

أحلم وخصلات شعرى تائهة .. سكرى بين أناملك .. وعيونك تغسلنى من خوف الايام الآتية وطيف الفراغ ورعب لحظات الخصام ..

ــ تعقلى .. لا تكونى طفلة نزقة .. أشغالى .. مسؤولياتى .. لا أستطيع . كلماته أيقظت فى نفسها الف لبؤة .. التمرد ابتلع الوهن الذى كان يصادقها كلما استمعت انيه .. الضعف الذى يرضى غروره .. انسانة تطبع خطواتها

البطيئة على اسفلت الشارع لتبقى كظله .. اجتاحها اعصار مزمجر .. سخط .. تذمر انتشل نفسها من مهاوى الضعف لتنفجر :

– لاتطلب منى التعقل .. تعبت انا .. أرهقتنى حكايات تعقلـك وملامـح النضج وأصوله وقواعده .. تعبت .. ضجرت ..

وسجنتنى فى قنينتك بما فيه الكفاية ..

تستهوينى حرية الاطفال وجنون افكارهم .. تعبـت من التعقـل والصبـر والانتظـار ..

بنفسى حنين دافق الى التهام الحياة معك .. بشوق .. بعفويـة .. بـلا قفزات .. يدفعنى هذا الحنين الى العدو فى الشارع أسرق الاحلام من عيون الزمن .. فدعنى .. دعنى أخرج للحظات من دنيا التعقل والصبر ..

أحست أن الكبت استحال الى شعلة نار تلتهب فى أحشائها .. أصبحت الشعلة كرة مطاط منتفخة ما فتئت تكبر وتكبر حتى انفجرت .

نصـوص مختـارة للترجمـة

صدر عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد اللـه للنشـر والتوزيـع كتاب نصوص مختارة المترجمة لتلاميذ المرحلة الثانيـة مـن التعليـم الثانوى ، وقد اهدانا مؤلفه الأستاذ المبرز : أحمد الواد نسخة من كتابه نشكره على هديته ونتمنى لكتابه الرواج .

مَطَر

شعر : عبد القادر بن شرودة

كَانَ يَهْوَانِي ،
وَكُنَّا فَوْقَ أَهْوَاءِ الْبَشَرْ
كُنْتُ كَالنَّيْزَكِ مَفْتُونًا بِنَارِي
وَحَبِيبِي كَالْقَمَرْ
لَمْ نُبَشِّرْ أَبَدًا إِلاَّ بِزَخَّاتِ الْمَطَرْ

●

عَلِّمِيهِمْ ، كَيْفَ كَانَ الحُبّ ، يَا أُخْتَ النِّضَالْ
مُنْذُ كَانَ الدَّمُ وَشْما لِلْجِبَالْ
مُنْذُ فَاضَ الدَّمُ فِي الشَّارِعِ مِنْ قَلْبِي وَسَالْ
وَعَلَى خَدِّكِ صَارَ الدَّمُ خَالا ، أَيَّ خَالْ !!
لَمْ تَخَافِي ،
إِنَّمَا أَنْجَبْتِ لِلْمَوْتِ الرِّجَالْ .

●

وَيُحِبُّونَ ادِّعَاء ... وَأُحِبُّ ....

نَحْنُ فِي الْحُبِّ جَمِيعا
وَأَنَا وَحْدِي الْمُحِبُّ
أَنَا لِلصَّمْتِ إِذَا رَانَ ، عَمُودٌ مِنْ لَهَبْ
وَإِذَا مَا غَيَّبُوا شَمْسَكِ ، مَزَّقْتُ السُّحُبْ
وَإِذَا مَا تَمْتَمُوا بِالشِّعْرِ .. أَحْرَقْتُ الكُتُبْ
وَإِذَا مَا انْهَزَمُوا ... لا أَنْسَحِبْ

●

قِيلَ عَنَّا ، افْتَرَقْنَا ...
فَهَوَى نَجْمٌ هُوِيًّا وَانْتَحَرْ
وَبَكَانَا الشَّجَرُ الصَّامِدُ وَاسْتَبْكَى الْمَدَرْ
غَيْرَ أَنَّا ، أَبَداً فِي كُلِّ صُبْحٍ نَنْتَصِرْ .
لَمْ نُبَشِّرْ أَبَداً إِلا بِزَخَّاتِ الْمَطَرْ ...

ملف خاص بالشعر

سيكون عدد شهر جويلية 1978 من مجلة « الفكر » خاصا بالشعر التونسي وخالصا له ، والملف مفتوح لجميع الاتجاهات الشعرية الحديثة ، وكل الشعراء مدعوون للمشاركة فيه بالدراسات والبحوث والقصائد .

من قضايا تعريب التاريخ القديم بحثا وتدريسا

بقلم : محمد فنطر

من المعلوم ان التاريخ ينقسم الى ثلاثة اطوار

1) التاريـخ القديم
2) التاريخ الوسيط
3) التاريخ الحديث والمعاصر

على ان الحدود الزمنية لهذه الاطوار الثلاثة نسبية تختلف باختلاف الاقطار أو قل باختلاف الامم او الاقوام فبالنسبة للامة العربية ينتهى التاريخ القديم بظهور الاسلام او بالفتح . فتونس مثلا يبدأ تاريخها القديم بظهـور الكتابـة فيها اوقل باستعمال الكتابة فيها اى بدخول الفنيقيين وهم الذين ادخلواالكتابة الى بلادنا . اما نهاية التاريخ القديم بالنسبة الى تونس فهى تؤرخ باصطـدام الجيش البيزنطى بجيش العبادلة فى مدينة سبيطلة سنة 647 ميلاديا . غير أن بعض المؤرخين يضعون حدود هذا التاريخ القديم سنـة 698 ميلاديـا أى بسقوط قرطاج بين يدى حسان بن النعمان فالتاريخ القديم بالنسبة لتونس ولكامل اقطار المغرب الكبير يغطى ما ينيف عن 19 قرنا حيـث يبـدأ حوالـى 1200 قبل الميلاد وينتهى فى حدود القرن السابع ميلاديا . ولكل قطـر عربـى تاريخه القديم فالتاريخ القديم بالنسبة للعراق ومصر الفراعنة يبدأ فى حدود الالف الرابعة قبل ميلاد عيسى عليه السلام وينتهى بالفتح العربى .

حداثة العناية بالتاريخ القديم

ان العناية بالتاريخ القديم حديثة لقد بدأ الاهتمام به فى أوروبا بشكـل مكثف انطلاقا من النهضة او حركة البعث (La Renaissance) . فالنهضة

الفرنسية أو الالمانية او غيرهما من اللغات الاوربية وقد لا يستفيد منها المواطن تماما .

فثابت أن الاهتمام بالتراث القديم وبالتاريخ القديم يكاد يكون معدوما عند الاولين والمعاصرين وذلك لاسباب مختلفة من أهمها سلطان الاسلام واعراض العرب المسلمين عن كل ما سبق الرسالة على انهم أخذوا الكثير عن اليونان والفرس فى ميادين الفلسفة والعلوم وسعى الاستعمار جهده ليبعد المولى عليهم عن تراثهم وتاريخهم القديم ولا ننسى ان مصلحة الاثار فى تونس كان لا يدخلها الا الفرنسيون وتسلطوا على تراثنا القديم وسخروه لارساء نظرياتهم وسياستهم وما زلنا متشبثين عن جهل وغير وعى بالصور التى سبكوها لنا وكثيرا ما يتبناها التونسى وقد هيئت لمسخه ولاستلابه .

ومن نتائج عدم اهتمام العرب بالتاريخ القديم عدم وجود لغة خاصة بهذا القطاع من العلوم الانسانية فكثيرا ما يتعثر اللسان فى الحديث عن التاريخ القديم ومخلفات الحضارات القديمة وليس من اليسير ايجاد هذه اللغة الخاصة سيما وغالب هذه الحضارات القديمة كانت لها لغات تختلف عن العربية على ان البعض منها ينتسب الى العائلة السامية كالبابلية والاشورية والكنعانية والحمرية وغيرها . ولكن القديم الذى عرفه العرب كان فى غالبه يعود الى الفرس والروم .

فواضح ان ليس لنا تقاليد ثابتة فى ميدان التاريخ القديم فباستثناء بعض الاشارات العابرة والمبعثرة فى كتب المؤرخين والجغرافيين لا يجد الباحث العربى ما قد يغذيه ويقيه شر الجوع ، لم يترك له السلف ما قد يستعين به فى خوض معركة القديم والسيطرة عليه واستعابه لا من حيث المعلومات ولا من حيث المصطلحات . التركة فى هذا القطاع ضئيلة لا تكفينا مؤونة .

ثم ان الجيل الذى تخصص فى هذا القطاع وهذه ظاهرة حديثة وليدة الاستقلال السياسى درس بالكلية الاجنبية وباللغة الاجنبية وواصل تعامله مع زملاء واخصائيين أجانب ويقرأ الكتب والفصول العديدة باللغة الاجنبية وينتج بدوره باللغة الاجنبية وكثيرا ما تنشر دراساته فى الصحف والمجلات الاجنبية وكذلك تهيأت لديه خزينة فيها رصيد من المصطلحات الاجنبية ولما طلب منه تبليغ ما عنده باللغة العربية لم يجد فى لغته الام ما قد يطابق تلك المصطلحات التى تستوعب الواقع القديم استيعابا كليا . وان لم يجد ما قد يطابق المصطلحات التى روض على استمالها فذلك لاسباب مختلفة منها :

1) السابقون لم يلجوا هذا الميدان ولم يسيطروا عليه ولم تسيطر عليه لغتهم أى اللغة العربية .

2) المصطلحات فى التاريخ كثيرا ما تكون حضارية لها خصوصية اى انها تشير الى واقع حضارى قد لا تجد مثيلا له فى حضارة اخرى . فالحضارة التى تفرز الواقع تفرز فى نفس الوقت المصطلح الملائم لتسميته اى للسيطرة عليه .

فليس من الغريب ان لا نجد فى لغة العرب ما قد يمكننا من تسمية واقع أفرزته الحضارة اللاتينية مثلا ـ فلنأخذ كلمة « فوروم » (Forum) فما هى اللفظة العربية التى قد تمكننا من تعريبها . البطحاء ـ الرحبة ـ الساحة . كل هذه المصطلحات لا تفى بالمعنى المظروف فى كلمة فوروم . ذلك أن لفظة فوروم تشير الى بطحاء لها خصوصيتها : خصوصية رومانية اذ هى بطحاء وزيادة ، بطحاء لها مخطط مضبوط مقنن معماريا وتحيط به معالم مضبوطة لها وظائفها معالم مدنية ومعالم دينية ففوروم مدينة دقة يتركب من بطحاء مروقة ـ أى تحيط بها أروقة تقى الناس شر القر والحر ـ وحول هذه البطحاء معبد الكبيتول ومعابد أخرى وكانت تتحلى بسبيل ومن بين البنايات المشيدة حولها لا بد من ذكر منصة للخطابة وقاعة المجلس البلدى .(La Curie) فالبطحاء لا يمكن أن تحمل اسم الفوروم الا اذا توفرت بعض الشروط وأحيطت بتلك البنايات المدنية والدينية المختلفة . فالمحيط العربى لم يفرز هذا اللون الحضارى فلا عجب ان لم نجد فى لغة العرب ما قد يطابق اللفظة اللاتينية فوروم .

فالمؤرخ العربى مهما كان الوطن الذى ينتمى اليه يجد صعوبات اذا أراد معالجة قضايا التاريخ القديم بحثا وتدريسا باللغة العربية ومن هذه الصعوبات :

1) عدم سيطرته احيانا على اللغة العربية للاسباب التى سبق ذكرها .

2) عدم وجود المصطلحات الملائمة للحديث عن مختلف الوان الحضارة المادية او لوصف مختلف عناصر المحيط الفخار ـ الأحجار والنبات ، الادوات المختلفة التى يستخدمها الانسان فى صراعه مع المحيط المادى والغير المادى .

3) عدم توفر أدوات العمل من كتب ودراسات قيمة تفيد الباحث وتكون له منطلقا يساعده على التقدم والوصول الى حلول مرضية .

فالتراجم التى قد نجدها فى السوق وعلى رفوف المكتبات لا تفى بالحاجة لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف فما زالت هذه التراجم نادرة وان توفرت تراها لا تخلو من الاخطاء فى مستوى المصطلحات وفى مستوى المعنى العام .

فاذا تصفحت كتاب « الحضارة الفينيقية » لجورج كونتنو (Georges Contenau) عربه الدكتور محمد عبد الهادى شعيره وراجع الترجمة طه حسين . اذا تصفحت هذا الكتاب وجدت الكثير من الاخطاء والمست بعض الغموض واللبس فكلمة Cylindre يعربها بزهريات والواقع ان لفظة Cylindre تشير الى خاتم اسطوانى الشكل عرف فى بلاد الوافدين وفى الشام وفى مصر الفراعنة .

والى جانب هذه الكتب المترجمة الى العربية توفرت فى بلاد المشرق ـ العراق ـ سورية ـ مصر ـ مجلات علمية تنشر بعض الدراسات فى التاريخ القديم وفى الآثار لكنها دراسات نادرة ومازل اصحابها يتعثرون وكثيرا ما يفضل الممتازون منهم الكتابة باللغة الاجنبية الفرنسية او الانجليزية او الالمانية وذلك لاسباب مختلفة أهمها بالاضافة الى العقبة اللغوية عدم استساغة تلك الدراسات من قبل المحيط البشرى اذ لا يقبل عليها القراء وقد لا يشعر القراء بالحاجة لمطالعتها فمازالت دراسات القديم لا تصرف فى سوق « المثقفين العرب » بل قل لما يحسنوا الاستفادة منها ولما يعوا ما قد تكنه تلك الدراسات من ثمين الفوائد .

أضف الى ذلك ان هذه الدراسات المشرقية والتراجم ، لا تصل الى تونس الا نادرا والنتيجة أننا فى هذه السنة الجامعية شرعنا فى تعريب بعض المسائل فى التاريخ القديم لكن المراجع العربية تكاد تكون معدومة فلجأنا الى تصوير بعض الكتب وبعض الفصول ولا شك ان عدم توفر المراجع يشكل عقبة لا يستحيل تجاوزها لكنها تستوجب جهودا وطاقة . فالاستاذ والطلبة مضطرون الى استخدام الكتب والمجلات الاجنبية وقد يكون ذلك على حساب كسب لغة تاريخية عربية .

فكيف يتسنى تخطى تلك الصعوبات ؟ وكيف نتوصل الى ايجاد اللغة التاريخية التى نحتاج اليها لنكون قادرين على معالجة قضايا التاريخ القديم

والسيطرة عليها وجعل هذا القطاع من التراث القديم أداة لبناء الحاضر ومفيدا لتصور المستقبل ؟ سؤال مطروح على كل الذين يهتمون بقضايا التاريخ القديم ومخلفات الحضارات القديمة فى البلاد العربية وهو مطروح كذلك على الذين يديرون شؤون البلاد العربية والمسؤولين على نموها نموا شاملا والمطالبين بتسخير كل معطيات المحيط لصالح المجموعة ويناعتها فى الحاضر والمستقبل . فكيف العمل اذن ؟

للوصول الى الغاية المرغوب فيها ثلاث لا بد منها :

1) اعطاء اللغة العربية حظها في مختلف درجات التعليم وجعلها لغة التعبير والتفكير . فالتعريب مهما كان القطاع يستوجب أولا وقبل كل شيء معرفة اللغة العربية لا معرفة معجمية بل معرفة تجعل مستعملها قادرا على السيطرة عليها محيطا بأسرارها وبامكاناتها حتى تصبح فى فمه وتحت ريشة قلمه كما تكون كتلة الطفل بين يدى الفخارى يشكلها كما يشاء شكلها ويصورها كما يريد تصويرها . ولا اريد الاطالة فى هذه النقطة بل اكتفى بالاشارة الى ضرورة التسلح باللغات السامية القديمة اذا اردنا السيطرة على اللغة العربية ؛ فمعرفة ما ضمنه (ابن منظور فى اللسان ضرورى لكنه أصبح غير كاف وقد لا نستفيد الاستفادة الكاملة من ابن منظور ولسان العرب الا اذا كنا مسلحين بأدوات عمل ضرورية ثبتت نجاعتها وهى اللغات السامية القديمة ، فلا شك ان العربية قد تستثرى من احتكاكها بأخواتها فى المخبر عند فقهاء اللغة ، ولا تفقه فى اللغة العربية الا بعد كسب اللغات السامية الاخرى والتحاور معها .

2) إيجاد المصطلحات

إن قضية ايجاد المصطلحات تثير سؤالين وهما :

1) كيف يكون ايجاد المصطلحات ؟

2) من يقوم بهذه العملية ؟ من يتولى توفير هذه المصطلحات ؟ لا يخفى على احد ما للمصطلحات من قيمة فى تطور العلوم على اختلاف انواعها انسانية كانت او صحيحة ذلك ان العلم وصف للواقع ولا بد ان يكون ذلك الوصف دقيقا يغطى كل جزئيات ذلك الواقع مهما صغر حجمها ومهما حاولت الافلات من قبضة الحراس ؛ والوصف لا يتسنى الا اذا كانت بين يدى الواصف أدوات عمل ملائمة اى مصطلحات أى أسماء تمتاز بالدقة والوضوح تلك هى الرحلة

الاساسية لكل عمل : فحص الواقع ـ التعرف الى كل جزئياته او مركباته وصفها وتسميتها وفى مرحلة ثانية يمر الباحث الى وصف العلاقات التى تربط أجزاء الواقع بعضها ببعض ويتمثل ذلك ايضا فى الوقوف على تأثيرات بعضها على بعض وتلك هى المنهجية البسيطة التى دفعت الانسان الى معرفة قوانين هذا الكون وسنن الطبيعة . العملية عملية وصف قبل كل شيء فى مختلف مراحلها تستوجب مصطلحات خصوصية ذلك ما أشار اليه القرآن الكريم : « **وعلم ءادم الأسماء كلها** »

فلما اراد الله ان يجعل من آدم خليفته فى الارض كان لا بد ان يزوده بسلطان ولا بد ان يسلطه على الواقع المحيط . ولا يتسلط الانسان على الكون الا بالتعرف اليه وبمعرفة أجزائه ذلك انك اذا سميت اقتربت من المسمى ، وينبغى أن يكون الاسم ملما او موحيا بكل خصائص المسمى ففى ميدان الفخار مثلا اذا قلت دنا للسامع أن يتصور ايناء معينا له خصائص تميزه على الاوانى الاخرى كالابريق او الجرة ولكل من هذه الاوانى شكله ووظيفته وكذلك الشأن بالنسبة للزخارف والعمارة والطيور والنبات والاحجار وغيرها من عناصر الواقع المحيط .

ولكن كيف يكون العمل لتوفير هذه المصطلحات ؟

الابواب التى يمكن للباحث ان يطرقها سعيا وراء ايجاد المصطلحات كثيرة منها :

1) الرجوع الى المصادر القديمة : الشعر الجاهلى ـ القرآن ـ كتب الادب والتاريخ والجغرافيا ـ ولا ننسى ما قد تمدنا به النصوص السامية القديمة : النصوص البابلية ـ الاشورية ـ النصوص الكنعانية والارمية والنبطية ـ النصوص الحميرية وغيرها كثيرة ومختلفة كلها كنوز لغوية ورجوعا الى هذه المصادر القديمة يقوم الباحث بتهطية اى بالتقاط ما قد يفيد وتستوجب هذه العملية قراءة الكتب قراءة هادفة : الهدف منها التقاط ما قد نحتاجه للتعبير عن عنصر من عناصر الواقع ماديا كان أو غير مادى ومن هذه الزاوية تتمثل عملية التعريب فى ربط الصلة مع السلف ومع التراث العربى السامى القديم ذلك الذى يغطى بتجاربه ومكتسباته ما ينيف عن ستة الف سنة : رصيد لا يضاهيه رصيد فى تاريخ البشرية .

ففى هذه الكتب السماوية والدنيوية وفى رقم وادى الرافدين وسورية وفى نقائش الكنعانين والانباط والحميريين والقرطاجيين اشارت الى

أشكال حضارية قديمة نجد فيها ما قد يساعدنا على ايجاد المصطلحات ففيها ما يشير الى ألوان حضارية مختلفة : الازياء - أدوات العمل - الاشكال المعمارية زخارفها ، النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعتقدات ، العبادة ومختلف حركاتها . فلا شك ان بالرجوع الى هذه المصادر القديمة تكون الحصيلة وافرة ثرية مثرية .

2) باب التوليد او الاشتقاق

نحن نعلم ان العربية ولود لكنها فى حاجة اكيدة الى مولدين : وتتمثل عملية التوليد فى استخراج بعض المصطلحات من المادة الاساسية من العنصر الاصلى وقد يكون ذلك بالرجوع الى المعنى الاولى والانطلاق منه مع احترام القوالب والصيغ التى تستسيغها اللغة العربية فيمكن مثلا انطلاقا من لفظة تاريخ توليد لفظة « تاريخية » كمصطلح لتعريب لفظة historicité وتشير هذه اللفظة الى علاقة الحدث بالواقع التاريخى فالحديث عن « تاريخية عليسة » historicité d'Elyssa يتضمن معالجة قضية معينة وهى نصيب عليسة من الحقيقة التاريخية ويتساءل الباحث هل هى شخصية خرافية أم هى شخصية عرفت الوجود فى الواقع . وكما يبحث فى تاريخية الشخصيات يبحث فى تاريخية الاحداث الاخرى ؟ كالتى يرد ذكرها فى كتب المؤرخين حول اعمال بعض الامراء وكبار القوم الى غير ذلك من الاحداث فالمنهجية العلمية تفرض على المؤرخ أن لا يحاول تفسير الاحداث قبل اقرار تاريخيتها اى قبل ان يثبت لديه انها حدثت انها كانت جزءا من الواقع زمنا ما وفى محيط ما . ومهما يكن من أمر فلتعريب لفظة historicité تم استخراج لفظة « تاريخية » من لفظة تاريخ أى وقع توليد لفظة تاريخ وهى فى الحقيقة عملية معروفة عند علماء العربية ويسمونها بالاشتقاق . وامكانات اللغة العربية فى هذا الباب غزيرة سخية . فالفخارى هو صانع الفخار والاقداح أو الاوانى المفخورة هى الاوانى التى تم شيها بالنار وكذلك الامر بالنسبة للفظة أثارى وأثرى استخرجت كلتاهما من لفظة آثار . فالاثارى هو الذى يعتنى ويمارس دراسة الآثار القديمة والاثرى نعت اى ما ينتسب للآثار أو ما له علاقة بالاثار فزيد أثارى والمعلم أثرى . ويمكن ان نستخرج لفظة « آثاريات » لتسمية العلم الذى يهتم بدراسة الآثار وذلك قياسا على حسابيات ورياضيات . وهذه بعض الامثلة الاخرى :

Le mime هو الذى يعبر عن افكاره ومشاغله ووجدانه بالحركة فهو يوحى بالمعنى بواسطة الحركة فاذا أردنا تعريب لفظة mime عدنا مثلا الى

مادة « ومأ » Le mime فهو الذي يومىء فيمكن ان نسميه اذن المومىء أما لفظة Le mime التى تشير الى شكل من أشكال المسرح المعبر بالحركة وبالايماء فيمكن ان نعربها بلفظة « مومأة » .

نجد فى تونس وفى مختلف أقطار المغرب العربى بنايات قديمة تسمى باللغة الفرنسية construction mégalithique فتعريف لفظة construction يسير ـ أقول بناية بقى لى أن أعرب صفتها mégalithique ان هذه اللفظة الفرنسية تتركب من مادتين يونانيتين مادة méga وفيها معنى الحجم الكبير ، الضخامة ومادة lithos وتعنى الحجرة فواضح أن لفظة mégalithique تشير الى أحجار ضخمة ، كبيرة الحجم وفى الشعر الجاهلى نجد استعمال لفظة « جلمود » للدلالة عن الحجرة الكبيرة فيمكن أن نعرب mégalithique بجلمودى أى باستخراج نعت من اسم جلمود فالبناية الجلمودية هى التى تشيد بحجارة كبيرة الحجم تتعالى وتتراكب من دون ملاط .

وفى عملية التوليد ينبغى ان لا ننسى توليد العبارات الاجنبية من ذلك رومنة لتعريب romanisation ورسكلة لتعريب recyclage وتلفز لتعريب téléviser وتلفن الى غير ذلك . والملاحظ ان هذه الوليدات تخضع لقواعد العربية وقوالبها من حيث الصرف والنحو : رومن ـ ترومن ـ المرومنون

3) الباب الثالث الذى يمكن للمعرب ان يطرقه هو باب الاستعارة ، لقد أشرنا فى بداية هذا الحديث الى أشكال حضارية لم يسبق للحضارة العربية أن تفرزها وليس بالتالى فى اللغة العربية ما قد يصلح لتسميتها . ومثل ذلك forum, consul, proconsul, municipe فعند ذلك أعرب اللفظة الاجنبية تعريبا صوتيا مع محاولة ما أمكن ذلك اعطائه صبغة عربية او قالبا عربيا . فأقول فوروم وجمعه فورومات وقنصل قناصل ، وبروقنصل أو برقنصل ومونيسيب ومونيسيبات . أقدم هذه الامثلة كمقترحات أولية قابلة للنقاش سيما فى خصوص الصيغ والقوالب على أن هناك من يستحسن الرجوع الى الصيغ الاصلية قديمة كانت أو حديثة فان كانت اللفظة من أصل لاتينى مثلا تكون الاستعارة انطلاقا من الصبغة اللاتينية وان كانت يونانية تكون انطلاقا من الصبغة اليونانية .

بقى ان نحاول الاجابة عن السؤال الثانى . من يتولى توفير المصطلحات ؟

لا ننسى أننا نعالج قضية تعريب التاريخ القديم والآثار . فبديهى أن يتولى انجاز العملية المؤرخ والاثارى ومعنى ذلك ان الذى يطالب بايجاد المصطلحات لهذا القطاع من العلوم الانسانية ينبغى ان تتوفر فيه صفتان او ميزتان : معرفة اللغة العربية والخبرة فى قضايا التاريخ القديم والاثار حتى يكون محيطا احاطة كاملة بما قد يحتاجه للقيام بعمله بحثا كان او تدريسا . وينبغى أن يكون محيطا بما يشترط ان يتوفر فى المصطلح ليكون ملائما مطابقا للواقع ومغطيا لكل عناصره فالمؤرخون المختصون فى التاريخ القديم والاثاريون هم الذين يطالبون بوضع المصطلحات الملائمة لتعريب قطاعهم الخاص . يضعونها ويدخلونها سوق الاستعمال حتى يستخدمها الباحث والدارس والاستاذ والطالب وغيرهم ممن قد يحتاجون الى لغة التاريخ القديم والآثار من كتاب وشعراء وغيرهم .

ولكن لا بد لهؤلاء الفنيين الخبراء من اطار معترف به ، وبصلوحياته حتى يكون لعملهم وزن فى السوق وتكون مصطلحاتهم كالعملة ذات القيمة المضمونة فيتعامل بها الناس مطمئنين . وقد يكون هذا الاطار مجمعا لغويا او مجمعا علميا . ففى نطاق هذه المؤسسة او غيرها تولد المصطلحات ويقع الاتفاق عليها وتصبح جارية المفعول فى المدارس والمعاهد والكليات وفى كل المؤسسات الدولية حتى يكتب لها الدوام ونتخلص من التضارب والتجارب الاعتباطية مما ينتج عنه البلبلة فى العقول وعدم المقدرة على السيطرة والاستيعاب .

فالملاحظ اليوم فى تونس وفى العالم العربى بصفة عامة ان لكل مؤرخ لغته ومصطلحاته والامثلة فى ذلك قوافل فلفظة Silex منهم من يعربها بلفظة ضوان ومنهم من يقول صوان .

amphithéâtre مدرج ـ مسرح مدرج ـ ملعب

Forum : البطحاء ـ الرحبة ـ الفوروم كما اقترحناه منذ حين ـ وكذلك عربها الشهابى فى معجمه .

sufète : بعضهم عربوها بلفظة سوفيت ـ شافط ـ حاكم ـ قاضى شيخ ولعل أحسن طريقة لتعريبها تكون باستعمال اللفظة القرآنية « سبط ـ أسباط » ورد ذكر الأسباط فى السور التالية : البقرة ـ آل عمران ـ النساء الأعراف .

cylindre : زهريات ـ خواتم أشورية (الشهابى) خواتم اسطوانية .

كنت أشرت منذ حين الى بعض التجارب الاعتباطية وتتجلى بوضوح كامل فى تعريب الاعلام . فلنأخذ بعض الامثلة :

Amilcar : عرب هذا الاسم وأعطى أشكالا مختلفة فقالوا « أملكار » وهى الطريقة الاكثر شيوعا وعملقار (عبد الوهاب) والصحيح عبد ملقرت ، فهو اسم يتركب من عنصرين : عبد وملقرت وهذا اسم إله من الآلهة الفنيقية ، مع الملاحظ ان المرحوم عبد الوهاب كان يعرب اعتباطيا «ملقرت (Amilcar) » بملك أرت » والصحيح ملقرت وهو اسم يتركب من عنصرين كذلك « ملك وقرت » ثم ادغام الكاف فى القاف فقيل « ملقرت » اى ملك المدينة وهى صور فى ارض كنعان .

Hannibal : حنبعل — أنبيل (البكرى وصاحب الروض المعطار) هينبال .

Magon : ما قون (فى كتاب التاريخ لتلاميذ السنة الاولى من التعليم الثانوى) صـ 94 — وفى نفس الكتاب قيل ماغون ص 98 و 105 . والصحيح « ماجون »

(Astarté) : اشطرتى (نفس المرجع ص 103) والصحيح عشترت

Himilcon : عميلقون (نفس المرجع ص 99) خيملكون (محمد مزالى والبشير بن سلامة) والصحيح خيملك .

بالنسبة لهذه الاعلام لا بد من الرجوع الى النقائش البونيقية او الفينيقية حيث نجدها مكتوبة بالاحرف الكنعانية التى لها ما يطابقها فى الابجدية العربية وبالرجوع الى الاصل يقع الاجماع على صيغة واحدة ويكون لعملية التعريب مستند علمى .

وهناك قضية تعريب الاعلام الغربية فلا بد أن توضع لها قواعد ثابتة حتى يتيسر للجميع فهم ما قد يكتب بالعربية فى هذا الميدان وحتى يقع الاتفاق حول طريقة موحدة جارية المفعول فى مختلف الاقطار العربية وهذه بعض الامثلة :

Cicéron : سيسرون — سيسرو — تشيشيرو — قيقيرو

Hérodote : هيرودوت — هيرودوتس

Homère : همار — هوميروس

وتجدر الاشارة كذلك الى قضية الاعلام الجغرافية والاعلام العرقية فهى فى الوقت الراهن محل اضطراب وهذه بعض امثلة

le Taurus : جبال طوروس

le Zagros : جبال زاجروس ومنهم من يعرب زاكروس ، زاغروس

les Scythes : السيكيثيون ـ السكيثيون ـ سكيثن

فالملاحظ ان طرق تعريب الاعلام الآدمية والجغرافية والعرقية تختلف من مؤرخ الى آخر او من معرب الى آخر فهذا ينطلق من اللغة الانجليزية وذاك ينطلق من اللغة الفرنسية وآخر من الالمانية . فلا بد للمؤرخين العرب من الاتفاق على قاعدة انطلاق موحدة اذا أرادوا اجتناب التفرقة والتشويش والتمزق ولا ننسى ان تعريب الاصوات الغربية يتطلب وضع قواعد ثابتة يعمل الجميع على احترامها . فلا بد ان نتفق على تعريب صوت p أو صوت v وغيرهما من الاصوات التى ليس فى العربية ما يطابقها تماما مع العلم ان كتب القدماء تفيدنا بتجارب السلف ولا بد من التعرف اليها والانطلاق منها .

فيمكن اذن التفكير فى بعث فريق من الاخصائيين يسهر على ايجاد المصطلحات باستخدام شتى الوسائل العلمية والمناهج الصحيحة وتجدر الاشارة هنا الى العمل الذى يقوم به حاليا ثلة من المؤرخين التونسيين تحت اشراف كلية الآداب ودار المعلمين العليا ولاشك ان هناك جماعات أخرى تعمل فى ميادين أخرى كالفلسفة والجغرافيا وعلوم الاجتماع وغيرها أفلا نفكر فى بعث مجمع علمى لغوى يتولى تنسيق هذه المجهودات المختلفة الفردية منها والجماعية ويضفى عليها صبغة رسمية تجعل من نتاجها عملة معترفا بها مضمونة القيمة فى السوق

ومن الضرورى ان تتعاون القطاعات المختصة لان هناك نقطا يلتقى فيها كل العاملين فى ميادين التعريب فقد يستفيد المؤرخ من عمل الجيولوجي ويجد فى معجمه أسماء الحجارة كما يستفيد من معجم علماء الاجتماع والفلسفة . إنى لألح على ضرورة بعث هيكل أكديمى يستوعب هذه الاعمال اللغوية على الصعيد القطرى او الجهوى ذلك لان لكل قطر خصوصية تاريخية وجغرافية فالفريق الذى يعمل على تعريب التاريخ القديم فى سورية كثيرا ما تراه يغفل عن معطيات هى من خصوصية تونس أو الاقطار المغربية وعلى سبيل المثال المعجم الذى وضعه الشهابى تحت اشراف المجمع العلمى بدمشق لم يتعرض الى الكثير من الاشكال الحضارية المغربية فلا نجد فيه كلمة sufète ولا نجد فيه كلمة colonie ولا كلمة municipe

فالمجمع القطرى ادرى بشعابه ولكن على صعيد عربى يمكن الرجوع الى اتحاد المجامع الذى يتولى التنسيق والتوفيق والاقرار ولا شك ان هذا العمل يمثل لبنة تساهم فى تشييد الوحدة اللغوية والثقافية .

ومن عمل المجامع ان تسهر على نشر المعاجم المختصة وتكون لها مجموعات عمل تكلف بالرجوع الى أمهات المصادر العربية وقراءتها حسب مشاغل خاصة وتلتقط منها كل ما قد يتماشى مع مشاغلها : جغرافيا ــ تاريخ ــ معمار ــ نقوش ــ ثياب ــ نقود ــ ديانات قديمة نبات ــ طيور ــ سفن ــ وتسهر المجامع كذلك على نشر الدراسات باللغة العربية تأليفا وترجمة فتعمل على اثراء المكتبة العربية .

فلقد حان الوقت اذن للعمل على توفير لغة تاريخية علمية دقيقة تساعد المؤرخ على الكتابة باللغة العربية ومن الثابت ان التأليف والنشر باللغة الاجنبية لا يفيد العالم العربى الفائدة المرجوة بل النشر باللغة الاجنبية من قبل العرب اشعاع لاصحاب تلك اللغة ولحضارتهم . فعندما نعرف بما قد يجد عندنا باللغة الفرنسية مثلا تكون النتيجة أن الجمهور الفرنسى أعلم من جمهورنا مما يقدمه التونسيون فى شتى الميادين فواجب علينا ان نقدم هذه النتائج الى الجماهير العربية ولا فائدة فى الجهود الجبارة التى نقوم بها ان لم تستفد منها الجماهير العربية العريضة على مختلف مستوياتها الثقافية ولعل اثراء المكتبة العربية بدراسات لغتها العربية من انجع الوسائل للتعريب واثراء الثقافة العربية واللغة العربية . بالكتاب والمقال تدخل المصطلحات الجديدة الى السوق ويتناولها المستهلك كالاديب والصحافى والشاعر والطبيب والقاضى وغيرهم ومن هذه الزاوية يتضح أن التعريب أداة من الادوات الصالحة للنمو والمساعدة على الخروج من التخلف .

سَلام على الأم أُنشودة وقضية

شعر : محمد عماد شعابنية

أحاولُ أن اتسلّح بالجهل لكنني من زمانْ
تعلّمتُ . او علمتني التجاربُ كلَّ حروف الهجاء
وايقنتُ أنَّ المسافة بين السماوات والأرض أطولُ من أن تقاس بنظرة عينْ
الى كوكبٍ شاردٍ في الفضاءْ .
أنا صوتهُمْ
أنا صمت نفسِي
أنا كنزُهُمْ
أنا ــ لأنا ــ ربع فلْسٍ
انا العرق المتصبّب من رأس « بنزرت » حتى صحاريَ « رَمادَه »
فلا البحر إذ يسْتقِي يرتوِي
ولا النهر تكفيه منِّي الزّياده ،

* * *

يقولون :

« حدّدْ مكانك فِي الأرضِ ..
إنَّ المناجمَ مفتوحةٌ

والمصانعَ داويةٌ
والموانيءَ عامرة بالمراكب ... »
فأبحث عن بقعةٍ خارج الظل تغمرني شمسها بالشّعاعْ
ولكنني حين أترك دائرتي
أُراني غريبا كغيمةِ صيفْ
وكلّ الوجوه التي في طريقي مُسيّجة بالسّهادْ
تحرّكها مَوْجة من سرابٍ كقافلة من جياعْ

★ ★ ★

أنا من جُموعٍ تُهَرْوِل خلْف القطارات بحثا عن الخبز
والزيت
والقبلة الدافئة
بساقٍ قد انتعلتْ
وأخرى على العهد لمّا تزلْ حافيهْ
وبي من كلام العواذل شيئان :
– شيءٌ تكسّر في داخلي قِطعا من زجاجْ
– وشيء يهوّم بي ليحوّل وجهة قلبي
فأبحث عند التوجّس والحزن عن ساعة الإنفراج
ويرتطم الصوت في داخلي بالحقيقه
لقد كنتُ غِرّا أمينا
وقد كنت سِرّا دفينا
فأصبحت حبرا ككل الرّواياتِ ...

كلُّ الأقاويل عنّي تذاعُ
وكلُّ الجرائد باسمي تُباعْ
وكلُّ الدعايات تَلْقَى طريق الرّواجْ .

* * *

وهذي المدينة ذات العيون الحزينهْ
شوارعها ازدحمت بالحُفاة
وحيطانها أكلتْ ظهرَها المُلصقاتْ
فصاحت :
ــ قليلا من الصمتِ
قالوا :
ــ دعينا نؤدّ التحيّةَ
قالت :
ــ أخاف المَنيّةَ
قالوا :
ــ كفى .! إننا نتقمّص صدْر المنيّةِ
قالتْ :
ــ ألا ترْحَمُوا أمَّكُمْ ؟
أجابوا :
ــ سلامٌ على الأمّ أنشودة وقضيّه .

* * *

تمرّ المسيرة صَفَّيْن أو أكثرَ
من العابرين الذين تشابكت الاتجاهاتُ في سَيْرِهِمْ
ويحتدّ صوْت الأفاضل والفُقَهَاءْ
ويختلف الكلّ في الوَطَنيّةِ
هذا يَراها طَعَاما وَمَاءْ
وهذا يردّدها في الأغاني
وهذا يصوّرها بالدّماءْ
فأهتف فيهم جميعا :
تعالَوْا ابيحوا دمِي ... تَعَبِي ... قَلَقِي ...
قطرة ..... قطرةً
جَرْعَة ..... جَرْعَةً
مَوْجَة ..... مَوْجَةً
وَلن تستبيحوا سوى عَرَقِي
وخبزي الذي بعد لم تصنعوهْ .

هل هو على حق ؟

قصة : هناء السويسي

اليوم كلمتك .. كنت أدير رقم هاتفك بلا وعى منى .. بلا شعور .. وأصغى الى رنين الجرس فى دارك وكأنه ناقوس ينذر بالشؤم فى ليال دافئة .. فوجئت بصوتك أسمعه رصينا هادئا يأتينى من مغاور بعيدة .. وقد طوقه الزمان بقوته .. بقدرته .. عبثا حاولت أن أصعد الكلمات الى حلقى لتنطق بها شفتاى .. ظلت الجمل التى قررت قبل لحظة أن أسكبها على مسامعك مخنوقة .. محبوسة .. والحدة فى داخلى .. لا تتحرك .. صوتك أخرسها .. أماتها .. (كنت فى عام مضى لا أحضر جملى قبل مكالمتك .. أو قبل لقاك.. كنت أنت تخلقها .. ببريق عينيك تهديها سواء السبيل .. بنبرات صوتك الحنون تسقيها فتحيا .. وتجرى اليك .. بلا كلفة .. بلا عناء .. هكذا يأتينى الكلام وأنا معك دون سابق تخطيط .. سعادتى بقربك تجعلنى أثرثر . أثرثر .. حقا السعادة تنبع من الذات لا من المحيط .. وأنا ذاتك .. وأنت ذاتى .. تضحك من فلسفتى .. وتمضى تجذبنى اليك لتنسينى وجودى بكلمات تكهرب منى القلب والجسد .. كلمات أحب أن أسمعها .. وأفعل أحيانا الحيلة لأجعلك تلفظها كلما اشتقت اليها .. انها بحر من الهناء .. من الاطمئنان .. يغسلنى من ماضى ومستقبلى ويوقفنى .. ويقعدنى عارية على باخرة الحاضر) .

الحاضر !.. حاضرى الآن أليم .. لا شك .. معذب معذب .. عذبته الذكرى .. لم لا تموت الذكرى .. لم لا تموت ؟!

ــ آلــو ..

اسمعها للمرة المائة دون أن أرد عليها .. لست ادرى لماذا لم أغلق الخط لأهرب، من ذاتى المحطمة ..

ـ من أنت ؟ ..

من أنا !.. أحقا لا يدرى من أنا ! أنا ؟ .. أنا أنا هو .. من السخف أن أقنع نفسى بأنه لا يعرف نفسه .. من السخف .. من الحمق أن يكرر هذا السؤال .. لماذا لم يكن يلقيه على فيما مضى .. أفقد الذاكرة الآن . أهو منير آخر ؟ .

ـ من أنت ؟..

يلح .. ودقات قلبى لالحاحه تكاد تتفرقع .. آه .. دقات قلبى هذه تضايقنى.. تقلقنى .. تقتلنى .. إنها كناقوس فقد توازنه .. أضع يدى على صدرى حتى أسكتها .. ولكنها تزداد قوة وعنفا .. تزداد ضجيجا وفوضى ..

ـ أأنت سامية ؟..

سامية !.. من سامية هذه ؟.. رباه .. أكاد انفلق .. عروق رأسى تتقطع.. لم لا يغلق الخط ويريحنى .. انه يدرى من انا .. ويشمت بى اذ يطيل عذابى بلامبالاته .. بسخريته .. انى اكرهه .. أكرهه .. وفى غمرة من الجنون أرمى السماعة على آلة التلفون .. وأقف امامها مغتاظه .. الدموع على عتبة عينى تريد الدخول .. أطردها .. كبريائى تمنعينى من البكاء فى مثل هذه المواقف.. لا شىء فى الحياة يستحق أن نبكى من اجله .. لانه ما من شىء جدير بأن تجله قلوبنا الطاهرة .. وتقبله شفاهنا البريئة .. كتفاى تهتزان كأنهما تسقطان بكل ثقل .. رأسى يدفع الى الوراء كأنه لينفض عنه غبار الحياة .. والانسان .. والزمان .. الوسخ .. قدماى تسيران ببطء وجرأة وثبات تقفان بجسدى أمام النافذة ..

(أمام النافذة كنت أقف لأترقبه .. كانت الدقائق عندى ساعات .. بل أعواما طوالا مراضا مشحونة بالاسى والمرارة .. مرارة الانتظار .. كان يحب أن يتأخر .. بل ويتعمد التأخر .. ليزيد فى شوقى اليه .. وحنينى .. وكنت أحب أن أنتظر .. لان الانتظار هو البداية .. أما قدومه فالنهاية .. وكانت لى كل يوم بداية ونهاية .. ليست لها نهاية .. كنت أتطلع من وراء النافذة الى سيارته .. متى تقف أمام باب الفيلا .. وتقف .. وأجرى راكضة انزل الدرج .. كنت أحس بنظرات عم الهاشمى حارس الحديقة تنظر الى مستغربة .. أيعقل أن تخرج هذه الأديبة الحسناء هكذا كالمجنونة ؟ أيعقل أن يسيطر على عقلها وقلبها هذا الشاب وهى التى تسيطر على القلم والكلمة ؟ الفتاة

فتاة .. بنزقها .. بطيشها .. بغرورها .. الفتاة فتاة مهما بلغت قيمتها .. كنت أحس به يلعن الدنيا وهو يرانى أرتمى على صدر منير لامبالية بوجوده .. نعم كنت مجنونة .. كنت لا أحسب للناس حسابا .. كنت جريئة .. لا أتستر بالظلام .. ثائرة .. وزادنى الحب ثورة على ثورتى .. لا تهمنى أقاويل الناس .. لا تهمنى اشارات أصابعهم المنافقة .. نظراتهم المستغربة ؟.. لتزدد استغرابا !..وقوفهم من وراء النوافذ ليتفرجوا على فيلمى القصير ؟.. ليبطل !. لا يهمنى .. ما دام منير لى .. ما دمت قبل ان اندس معه داخل السيارة أعانقه سعيدة فرحة ناسية الانتظار المر الذى كنت اتخبط فيه .. ما دمت أركب الى جانبه وادع يده تعانق رقبتى حتى نصل الى مقهى البلفدير او مقهى باريس او مقهى كلاريدج .. او .. قلا .. لا شيء يستحق ان ابالى به .. كان يحب اندفاعى .. يعشق تمردى .. يشجعنى على هذه الثورة العارمة ضد المجتمع .. ضد الامخاخ الجامدة .. يريدنى صادقة أبدا لا أتستر بقناع « عم » الكذاب .. ما دمت أحب أن حبه واخرج معه واكشف للدنيا عن السر الذى يجمعنا معا فعلام النفاق ؟.. كان بحرا .. وكنت انا سمكة ضالة متشبثة بمائه لا ابتغى منه خروجا حتى لا أموت .. وكنت سعيدة .. سعيدة)

أتأفف وانا أنظر من وراء النافذة .. السعادة !. كلمة لا معنى لها .. بل ولا وجود .. سعادتى معه كانت فقط طعما فى صنارة الشقاء الذى يلم بى .. افتح النافذة .. الهواء بارد .. بارد كبرودة أيامى الكالحة .. كبرودة قلبى المصقع .. لم أعد فى هذه اللحظة أشعر باى شيء مما يعرفه الناس .. لا فرح .. لا حزن .. لا ندم .. أحس فقط بالشقاء .. بالضياع .. بالحيرة .. احساسات لذيذة لا يعرفها الا العظماء .. وأنا عظيمة .. أجرى الى مكتبى .. آخذ علبة السجائر .. فى رغبة فى رؤية ضباب من دخان سيجارتى .. أغلق النافذة .. أجلس على كرسى وضعته حذوى وتمضى عيناى تشربان منى السهوم والشرود .. وأمضى أنفث دخان سيجارتى فى سكون .. ويمضى السكوت ساكتا .. لا شيء أسمعه غير انفاسى المنتظمة .. الهادئة .. أنفاسى هادئة !. يا للغرابة .. (لم تكن أنفاسى هادئة وانا معه .. حتى أنفاسه لم تكن هادئة.. كانت دائما كفحيح الحديد المحمى حين ترميه يد فى ماء بارد) فما الذى تغير ؟؟؟ فى الحقيقة .. كل شيء تغير .. حتى أنا تغيرت .. فى مظهرى .. وطباعى .. ونظرتى للامور .. تشدنى رغبة طفولية فى النهوض والوقوف أمام المرآة لأتأكد من تغيرى .. لا أعاند .. وأمضى الى المرآة أحاكيها .. هذا شعرى قصير وقد كان طويلا .. طويلا .. فلماذا قصصته .. لا لسبب الا لأن

طوله يذكرني به .. وبحديثه الحلو عنه .. هذان حاجباى .. أصبحا عريضين بعد ان كانا كالخيط المهلل فوق مستوى عيني .. لماذا تركتهما يهيجان ؟ فقط لانسى الصورة التى تركني عليها وذهب .. هذا فمي . لا أثر لأحمر الشفـاه عليه .. ولماذا أحمره ؟! ولمن ؟.. فقدت الامل الذى لأجله كنت أتزين وأتجمل .. ولم الجمال الآن ؟.. ولمن .. ثقبت وجهي فى المرآة بحثا عن عيب فيه يردع كل فتى أن يعشقه .. فلم أجد .. أنا جميلة .. جميلـة .. بخضـرة عينـى .. بحمرة خدى .. ببياض اسناني .. بصغر فمي .. بارتفاع جيدى .. جميلة .. وجمالي يعذبني .. الفتاة الجميلة فى بلدنا تشقى .. لست أدرى لماذا ؟.. ربما لان الله يحب الجمال .. أزفر غبارا يستحيل نـدى على صفحـة المـرآة .. أتنهد .. ومع تنهيدتي يدق جرس الهاتف .. لن أرد .. فلا أحد يستحـق أن أرد عليه .. لم تعد مكالمة ما تفرحني .. لم تعد مكالمة ما تهمني .. (أنا .. أنا التى كنت أجلس قرب الهاتف أتصنع قراءة كتاب حتى يكلمني !.. أنـا التى كنت اذا صادف ودق جرس الهاتف عن غير انتظار أجرى انا فى حيوية المراهقة .. وأختطف السماعة قبل ان تصل اليها يد الخادمة جميلة .. أنا .. أنا التى ..) لن أرد .. لن .. لن .. لن .. لكنه يلـح .. يلـح ببـلادة تثيـر الاعصاب .. لن أرد .. أجلس الى مكتبي .. آخذ ورقة اكتب عليها .. أرد .. وورقة أخرى اكتب عليها .. لا أرد .. أطويهما بعناية .. وأطلق سراحهما مـن قبضتي على المكتب .. والتلفون يدق .. يدق ببلادة .. أختار ورقة .. أفتحها .. أرد .. اذن سأرد .. أهز السماعة الى مستوى يسرى أذنى بتثاقل ..

ــ آلو ..

ــ آلو حسناء .. ظننتك خرجتى يا ابنتى .. الاجتماع سيطول .. لن ارجع قبل ساعتين او ثلاثة وأمام سكوتي تستأنف :

ــ .. اخرجي يا بنتي .. ستقلقين وحدك ..

ــ حسنا يا أمي .. سأفعل ..

وتنتهى المكالمة .. انها أمي اذن .. لكم احسدها على نشاطها .. على انشغالها الدائم .. لا دقيقة لها تضيعها .. مهامها كثيرة .. وراءها دائما شيء تفعله .. تجتمع بالنساء فى الشبيبة النسائية .. تذهب الى الحلاقة .. تزور الصديقات .. تدعى الى سهرات .. تقيم حفلات .. هي كالفراشة رغم كبرها .. ابدا جميلة رغم اعوامها الخمسة والاربعين .. (كنت انظر اليها مدهوشة وقد استحـال جمالها قبحا غاضبا وهي تشتم أبى .. كنت يومها فى الخامسة من عمرى ..

وكانت هي في الخامسة والعشرين .. ولم أكن أفهم معنى أن تشاجر أبي .. ان تطرده .. ان المشهد الذي تفرجت عليه يومها مازال منقوشا بالوشم على صدري .. أمام عيني ..

ـ .. لا أريد أن يعارض تصرفاتي أحد .. ما من شخص في هذا الوجود يستطيع ان ينال من حريتي .. أنا حرة .. حرة أيها السيد .. فان كان يروقك ان تبقى معي ولا تقيد حريتي .. فسأقبل من اجل ابنتنا .. وان لم يكن يروقك ذلك فمع السلامة .. ستعثر على امرأة أخرى غيري جاهلة ترضى أن تخدمك كالأمة دون كلمة .. ترضى ان تكون المطيعة لأوامرك دون مناقشة .. أما أنا .. فلا .. لا .. لن ارضى .. فمن خلق ليعيش حرا لا يقبل العبودية .. من خلق ليكون عظيما لا يصغر ابدا .. ابدا ..

ـ لا .. لا تتهوري يا امرأة لا تغتري .. أنا لا أرغب في تقييدك .. ولا في اذعانك لأوامري .. فلا رئيس ولا مرؤوس هنا .. فقط أريدك أن توليني من اهتمامك كزوج له عليك حق .. من هو الرجل الذي يحب زوجته الى حد العبادة ويسكت حتى لا يراها أبدا .. لا وقت الغذاء .. ولا وقت العشاء .. وفي بعض الاحيان لا يراها حتى في وقت النوم ؟. أتزوجت امرأة أنا .. أم تزوجت فراغا .. انى أكاد لا أراك اليوم كله .. أليس من حقي أن أشتاق اليك .. أن أدافع عن حقوقي عليك كزوج .. أنا أحبك .. ولولا حبي لك لما نقدت تصرفاتك .. هي لا شك ليست سيئة .. ولا تمس من سمعة العائلة .. ولكنها تثير أعصابي .. شغل .. اجتماعات .. شغل .. اجتماعات .. أريد أن أشعر معك ولو مرة بالدفء .. بالحنان .. أما كفاني أني فقدت حنان أمي منذ صغري .. أما كفاني العذاب الذي عشته وأنا يتيم تضربني زوجة ابي وتفتك مني والدي مرفأ نجاتي الوحيد .. أما كفاني ذلك يا وداد .. تريدين أنت تعذيبي وحرماني .. ماذا جنيت حتى ألقى منك هذا الجفاء .. ألأني أحببتك ؟!

كانت غصته وقتها في حلقه .. خلت أنه سيبكي .. وأن أمي ستبكي .. لكن العيون ظلت جافة .. غامضة .. خاصة عينا أمي .. كانتا تكشفان عن كراهية كارهة .. أما عينا أبي .. فكانتا تعكسان حيرة ملجومة .. خوفا مكبوتا .. وحزنا عظيما حزينا .. سحبه لا تمطر .. حقا الرجال لا يبكون .. قلوبهم فقط تبكي .. وأمي ؟. يبدو انها رجل .. لكن .. رجل ليس حساسا من صنف أبي .. بل صلب .. قاس .. لا تزعزعه المشاعر .. أترى اشتغالها كالآلة جعل منها القاسية الصلبة .. فلم تبك .. ولم يبك أبي كذلك .. فبكيت أنا ..

مازلت أرى نظرات كليهما وهى تلتهمنى حنانا وعطفا .. جرى ابى الى .. ضمنى اليه .. ثم خطت امى نحونا الخطوات التى تفصلها عنا .. وعانقتنا .. وبكينا .. بكينا كلنا .. بكينا) كما تبكى الريح الآن فى الخارج .. بكاؤها أنين خافت .. ارتدى معطفى .. سأخرج رغم الريح .. وحتى رغم المطر ان انهمر .. سأخرج .. فكل شىء فى غرفتى يوحى بالكآبة .. الكآبة الرتيبة التى تقف كالمسمار على تابوت الزمان .. سأخرج .. وبخطوات آلية وجدتنى أمام المدرج .. أنزل درجاته ببطء .. اعترضنى عم الهاشمى على آخر درجات المدرج .. كان يغط فى نوم عميق .. علام لم يدخل غرفته ؟ . إنها أريح .. وأدفأ .. الظاهر أن أمى أمرته أن لا يدخل حتى تأتى .. ولو صادف ورأته على هذه الحال لايقظته بشراسة .. ونعته بالمهمل .. الكسول .. نعم .. انها قاسية .. الا معى .. قسوتها كلها تستحيل حنانا وحبا حين تلتقى بى .. أوامرها الدستور عندى أنا .. تصبح طلبات تفعل المستحيل لألبيها لها عن اقتناع .. قابلتنى الاشجار فى الحديقة تتخاصم .. تتلوى عراكا .. انه مفعول الريح .. تماما كمفعول الخمر المعتق .. وقبل ان اصل الى باب الحديقة وقعت عيناى على قرنفلة .. انحنيت وقطفتها .. وخرجت الى الشارع بعد ان اغلقت الباب ورائى بهدوء حتى لا أوقظ عم الهاشمى .. القرنفلة فى يدى .. أشمها..

(يتبع)

ورد الى المجلة

اللسان العربى : مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب يصدرها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط . صدر المجلد الثانى عشر (الجزء الثانى) ويحتوى على معاجم النبات الأصيل ولآلى العرب والأصل العربى لمفردات طب العيون ، ومعجم الطيران العام وقائمة مصطلحات علم التشريح ، ومعجم جيولوجيات المياه الجوفية ، ومصطلحات المطبخ والقطارة .

كما صدر المجلد الرابع عشر (الجزء الأول) المحتوى على أبحاث ودراسات (والجزء الثانى) المتضمن لمعاجم المواصفات القياسية العربية ، والسفانة والسفن ، والفقه والقانون ، والحرف والمهن ، وعلم الفلك والخشابة والخشب .

مجلة دعوة الحق المغربية : تتضمن دراسات حول الافقار الفكرى وتحريف التاريخ والعقيدة وغيرها من المقالات والاشعار .

في انتظاركم يا أحبائي والقدر

شعر : أحمد المختار الهادي

إنتظرونى عبر محطات الليل انا اهرب من رقص الأضواء

واستمعونى أغنية طائشة أو مو لا تتماوج فى عربدة الألحان به أقوى الأصداء
انتظرونى يا أشباهى المقرورين من الحر الغازى أحلام الفقراء

الصورة تنقلب الآن

وتصير هنا ورقا أسود تحمله اليد عرض الضوء لكى تبصره العينان

فانضلع الايسر مكسور فى الصورة من قوة هذا الضرب

* * *

لا تنتظرونى بل فانتظرونى فأنا فسرت لكم فى هذى القرية ما يوحى فى كل زمان أو فى كل مكان

هاجس هذا الحب

لكن لتقولوا ما شئتم يا ساده

فالكبر على المتكبر دوما يأخذ شكلا لعباده

لكنى أحنى رأسى أركع للحق

قلبى معكم يا أحباب

ولأول مرة

هاكم من كلماتى قطرة

لتذوقوا نكهة هذا الصدق

لتقولوا مثلى يا سادة

ملعون هذا الزمن الكذاب

* * *

القدر الأعمى ساق خطاى العشوائية ذات نهار أخضر كى ألقى عينيك فما الحيلة إنى تهت بواحات العينين

آه ما أقسى تهويم الشفتين

وأنا بدوى صحراوى الطبع

وحدودى تفصل أحلامى أيامى عن خارطة اللذات وعن علب الليل وعن سهرات مدائن ممنوع فيها المنع

القدر الأعمى ساق خطاى وألقانى بين يديك هنا فى ذات عشية ريح وخريف

فشهدت وعشت نزيفا يتفجر فى عمق نزيف

ما أروع أن تلعب بى الفتنة بل ما أبشع أن أتردى فى شبكات التزييف

* * *

ملعون هذا الزمن الكذاب

من قاد خطاك نهارا حتى الباب

دقيه ودقى بأظافر حرمانك باب القلب

فسينزف جرحى أكثر أكثر من قوة هذا الضرب

* * *

ولعينيك أنا ماذا سأقدم أو أهدى فى ليلة عيد

والحائط يتجسس أنفاسك أو حتى نظراتك حتى دقات القلب وراء زجاج تقفل من دونه أبواب حديد

لكنى والعزم حديد

أتفجر والدم لا يجرى بين عروقى لا يلقى أى مصب أو أى وريد

* * *

سيموت أبوك ويدفن فى ليلة هذا العيد

سيموت ويحيا الحب وقصته العفويه

وستنتصر الاحلام الورديه

وستنمو كل زهور الدنيا ما بين حقولك والعمر وعود

وحياة الاطفال ستغدو همس نسيم وعطورا تتضوع ما أروع أن تتضوع فى الصبح ورود

* * *

زورينى غصبا عنك وزورى بيتى

واختصرى من وقتى

فأنا منتظر يا حلوة أن تزهر ساعاتى فى ليلة سبتى

فأعيش ليوم الأحد

عمرا يتجدد فى عمرك يا حلم غدى

احمد المختار الهادى

المتلوى 27 / 12 / 77

في نقد التراث

بقلم : رياض المرزوقي

● مدخل الى تصنيف المواضيع والأغراض (1)

عملية النقد هى عملية تقييم ، ومن ثم يحتاج الناقد الى معايير دقيقة ؛ وهو ما أعوز جل التيارات النقدية فى الادب العربى قديماً وحديثا .

وحتى اذا ما وجدنا بعض هذه المقاييس عند النقاد ، فاننا نلاحظ عليها سحة ضبابية غالبة تحد من قيمتها .

ويتجلى هذا خاصة فى نقدنا للتراث . والنقاد للتراث هم أحد فريقين :

ـ الأول محافظ فى نزعته النقدية أشد المحافظة ، يعتمد آراء كبار النقاد القدامى الى حد التحجر ، فلا يأتى فى نقده بجديد ، ولا يعترف بامكانية التجديد .

ـ والثانى نهل من الطرق الجديدة الغربية ، وحاول تطبيقها دون مراعاة التباين الفكرى ؛ وربما دون فهم صحيح أو هضم لها .

وبين الفريقين مخضرمون تنقصهم الجرأة والقدرة وما الى ذلك من خصال الناقد الحق .

وقد رأينا أمام قلة الضبط فى هذا الميدان ، وكثرة الخلط أن نحاول تقديم خلاصة لتفكيرنا المنهجى فى التراث ، معترفين مسبقا بوجود صعوبات

---

(1) سنعود الى هذا الموضوع فى مواطن أخرى ، والملاحظ أن هيكل هذا البحث أعد أعد ليلقى فى ملتقى (ابن رشيق) ، لكن المرض عاق صاحبه عن ذلك .

كأداء أهمها : قلة نشر النصوص ، وانعدام الطريقة العلمية فـي تحقيقهـا ونشرها ـ إن نشرت ـ ، ويؤدى هذا حتما الى قلة الالمام بالتراث ، فتبقـى الافكار المعبر عنها محدودة جزئية .

وتنطلق أية عملية من عمليات الدراسة من تصنيـف صحيـح مضبـوط لمواضيع الأدب وأغراضه بمراعاة الجوانب الرئيسية الثلاثة : صاحب الاثر ، والاثر نفسه ، والمجتمع الذى خلق فيه هذا الاثر .

وقد لاحظنا ان النقاد القدامى صنفوا الادب تصنيفات مختلفة ، مما يـدل على حيرتهم ، ومحاولتهم اكمال بعض هذه التصنيفات ببعضها الاخر .

فقد قسموا الادب حسب الدوافع النفسية الشعورية من رغبة ، وطمـع ، ورهبة .. ، وصنفوه حسب الشكل الفنى من رسالة ، ومقامة ، وأرجوزة .. ، واكتفوا فى غالب الاحيان بارجاعه الى فنين رئيسيين هما النظرة الايجابية الى الاشخاص والامور وتتمثل فى المدح ، والنظرة السلبية وتتمثل فى الهجـاء ، حسب الثنائية المعروفة فى المجتمع العربى الاصيل : الخير والشر ، والحسن والقبح ، والكرم واللؤم .. الخ ؛ كما نجد من التصنيفـات مـا يعتبـر فيـه مستهلك الادب ، والعلاقة التـى تربـط منتجـه بـه ، كالتهنئـة ، والمدحـة والاخوانية ..

وقد نتج عن هذه التصنيفات ، بالاضافة الى قلة دقتهـا ، اهمـال بعـض الآثار الادبية التى لا تندرج الا بصعوبة فى هذه التقسيمات . فمـاذا نعتبـر (رسالة الغفران) للمعرى مثلا ؟ أو رسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد ؟ أو بعض المقامات والقصص والاشعار التى تعود الى القـرن الرابـع للهجـرة وما يليه ؟

ومن الاتجاهات الادبية التى أهملت ، بالاضافة الى شتـى أصنـاف الادب الشعبى ، اتجاهان هامان :

ـ أولهما : مايمكن تسميته بأدب العبث ABSURDE ، وهو أدب ناتج عن شعور غريب بالاكتمال ، ومـلء الفـراغ بشتـى الالعـاب الفكريـة واللفظية ؛ وقد ازدهر هذا الادب خاصة فى جو المجالس بدايـة مـن القـرن الرابع للهجرة . ورغم أننا ننوى العودة اليه بالتحليل فى مناسبات قـادمة ، نعطى عليه هذا المثال ، وهو لاحد شعراء مصر فى العهد المملوكى ، ويقول فى الرد على من طلب منه أن يصوم بعد رمضان ستة ايام طلبا للأجر والثواب :

شهر الصيام تولى فراقه اليوم عيدى
فقال : شيع بست فقلت أيضا : وسيدى !

ولا يخفى على القارىء أن الجناس فى (ست) هو هدف الشاعر . وقد اطلق الاستاذ الزميل محمد طرشونة على مثل هذا الادب اسم « الادب الابيض » ، فى احد الملتقيات الاخيرة .

– وثانيهما : ما أسميته بأدب الخوارق Fantastique ، وهو أدب غزير يعكس حيرة الانسان أمام بعض الظواهر ، أو رغبته فى الخروج من واقع مرير ، فيضع فى الحياة العادية بذورا خارقة للعادة ، لا تفسير منطقيا لها . وتعد الاخبار والحكايات ، وبعض الكتب (كألف ليلة وليلة) حافلة بهذا الأدب .

وقد كان مشجعى على دراسة هذا الادب ، بالاضافة الى ميلى اليه ، ابتداء الاستاذ (تزفتان تودوروف) ، صاحب كتاب « مدخل الى أدب الخوارق » ، استغرابه من وجود مثل هذا الادب عند العرب ، فى ملتقى (قضايا الادب العربى) المنعقد أخيرا .

فالامر الملح اذن هو اعادة تصنيف التراث ،حتى تكون لنقدنا منطلقات موضوعية جادة ، ونتجنب اهمال بعض الاثار أو التيارات بدعوى انها لاتخضع لتصنيفنا ؛ وهذا العمل الجبار أكبر من ان يقوم به باحث ، فهو عمل جماعى. يسبقه حتما نشر وتحقيق على مستوى شامل ، واستفادة من تجارب الغير : شيوخنا وأعلام ادبنا العربى الاسلامى ، والاجانب الذين لهم قصب السبق فى الدراسات العلمية المنهجية .

ولنا فى الختام ، بعض الملاحظات التى نقدمها رغبة فى ضبط أكبر لأفكارنا ، وتمهيدا للتوسع فيها وتحليلها فى مواطن أخرى .

● لا وجود للفصل الشكلى بين الشعر والنثر ، بل توجد كتابة أدبية يختلف بعضها عن بعض حسب الخصائص . والملاحظ أن القدماء أوجدوا أنواعا من الكتابة هى وسط بين الشعر والنثر كالسجع ، أو يختلط فيها الشعر والنثر ، كالرسالة والمقامة .

● لا وجود لمفهومي الادب الرسمي ، والادب الذاتي الخاص ، ويصعب الفصل بينهما . وبصفة عامة ، لا نرى أن الدوافع يمكن أن تعتبر في عملية التصنيف .

● إن تقسيم الأدب الى مواضيع والاغراض التقليدية لا يفي بالحاجة ، فكم في المدح من درجات مثلا ! كما ان بعض التقسيمات الحديثة ، كالأدب الملتزم وما الى ذلك لا تراعي نوعية الادب العربي .

● لا بد في عملية التصنيف الجديد من مراعاة الاختلافات الجزئية النوعية بين مختلف البيئات العربية الاسلامية ، ومختلف شخصيات الأدباء ، ومختلف أصناف المستهلكين للأدب ؛ وكذلك بالطبع فنيات الادب وجمالياته وشكلياته ، ومدى استجابته لمتطلبات ثلاثة : متطلبات صاحبه ، وعصره ، وانسانيته . (*)

ـ فيفري 78 ـ

ملحق :

من أدب الخوارق

النص 1 :

حكاية بنت الملك

.. يقال لها (جوهرة بنت كنعان الباهلي) ، وكانت جميلة الصورة فاختلى (1) بها يوما (2) من الايام عفريت من الجن فميزها فأعجبته ، فخطفها (3) من قصر أبيها الى جبل قريب من بحر الظلمات فوضعها هناك ، وفك ختامها ، ومسكها عنده أسبوعا ، فطلبت منه تلك البنت أن يردها الى قصر أبيها ، فردها اليه فسألها أبوها : أين كنت ، وكيف جرى لك يا بنتي ؟ فأخبرته فتغير ، فقال : أمر عسير ، فقضى به الملك القدير ، لو كان فعل بك هذا الفعل انسي ، كنت أذقته كأس المنون ، وجلبت له جميع الاخوان والمحن (4) . ثم انه سكت ، فبعد أسبوع (5) أتى ذلك العفريت وخطف (6)

(*) سنعود الى هذا الموضوع في مواطن اخرى ، والملاحظ أن هيكل هذا البحث أعد ليلقى في ملتقى (ابن رشيق) لكن المرض عاق صاحبه عن ذلك .

(**) أثبتنا في هذا الملحق نصين مخطوطين يوضحان مفهوم (أدب الخوارق) ويخرجان ـ نسبيا ـ عن الاطر الضيقة لمواضيع الادب المتعارفة .

تلك البنت الى مكانه من ذلك الجبل ، واختلى (7) بها أسبوعا ، ثم ردها الى قصر ابيها . ولم يزل كذلك ، واذا به يقيم بها أسبوعا فى ذلك الجبل ، واسبوعا يأتى بها ، فتقيم (8) اسبوعا فى دار أبيها ، مدة طويلة ، واغترم هذا العفريت بها ، وصل لها عن الزواج ، واغترمت هى به وصدته عن الزواج ايضا . فلما مات كنعان ، وماتت أمها ، حبسها عنده فى ذلك الجبل ، ووضع عندها جميع ما استحق اليه .

وكان له صاحب (9) من الجن يدخل عليها ويخرج مدة . فلما غاب ذلك العفريت فى بعض حوائجه ، واستبطأه صاحبه من الجن ، وزوجته (جوهرة) ، خرج فنظر ، فلم يجد له أثرا (10) ، فأتاها وقال لها : يا فلانة ، انى اريد قربك ومحبتك ؛ مدة كذا وكذا عاما وانا اهواك ، ولا آتى الى هذا الجبل الا لأجلك . فقالت : حبا وكرامة ! والنساء كما علمت يا سيدى ما لهن امان ! فقال (جعفر بن عبد الله) : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : باعدوا بين انفاس الرجال والنساء ، فقال مغيث : ومحاكى النساء فى ذلك كثيرة ، واكثر ما يقع فى نساء الوزراء والقواد (11) والاعوان ، والبيوتات (12) ، من النساء ، يبدان ازواجهن (13) بالعبيد والخدام ، قبح الله النساء !

المصدر : مجموع قصص ، لمؤلف مجهول ، المخطوط رقم 18047 بدار الكتب الوطنية ، الورقة 34 ظهر – 35 –

التحقيق : (1) فى الاصل : احتان – (2) فى الاصل : يوم – (4) فى الاصل : أخطفها – (4) فى الاصل : والمحان ، ولم نفهم للجملة معنى مستقيما – (5) فى الاصل : اسبوعا – (6) فى الاصل : وأخطف – (7) فى الاصل : واختار – (8) فى الاصل : فتقم – (9) فى الاصل : صاحبا – (10) فى الاصل : أثر ، وربما كان ذلك للسجع – (11) فى الاصل : والقياد – (12) فى الاصل : والبيتات – (13) فى الاصل : ازوجهن –

التعليق : من حيث المضمون تحوم القصة حول خيانة النساء ومكرهن وهى تسير بصفة عامة فى مساق القصص الشعبية من صنف (ألف لينة وليلة) ، ولو لا ذكر الجن لما تفطنا الى الفرق مع ما يدور فى الحياة اليومية ، كما نلح على الاشارة الاخيرة التى تعتبر هذا الفساد الاخلاقى اكثر انتشارا فى الطبقات العليا المحظوظة ، مما يدل على شخصية القصاص المنتمى حسب ما يبدو الى

طبقة شعبية . ومما يدعم ذلك الشكل الذى تطغى عليه العامية واللحن (كيف جرى لك يا بنتى ؟ ـ ميزها ـ اغترم ـ ما استحق اليه ..) ، والحياء المتجلى فى صورة « فك الختام » ويعنى بها طبعا الافتضاض .

النص 2 : حكـــايـة

.. أن رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع ابن له . وكان الابن يشبه أباه جدا ، فتعجب عمر رضى الله عنه فقال : ما رأيت غرابا أشبه بغراب مثل هذا . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ان فى شـأن ولـدى هـذا أشيـاء عجيبة (1) ، انه مكث فى القبر تسعة اشهر ، ثم خرج منه بقدرة الله تعالى ، فوثب عمر رضى الله عنه ، وقال : ايش تقول يا هذا ؟ قال الرجل :

أردت أن أسافر وان (2) ولدى هذا كان فى بطـن أمـه ، فتوضـأت (3) وصليت ركعتين ، ورفعت يدى الى السماء ، وقلت : الهى أودعت الولد الذى فى بطن زوجتى عندك ، فرده الى سالما اذا رجعت ، ثم خرجت الى السفر ، ومكثت فيه تسعة اشهر ، ثم رجعت ، فوجدت ان امرأتى قد ماتت ، فذهبت الى زيارة قبرها ، فعانقت قبرها ، وبكيت بكاء كثيرا ، فاذا سمعت صـوت صبى من قبرها (4) ، فتعجبت ، فقلت : اكشف راس قبرها لى ، انظـر مـا هذا الصوت الذى اسمع ، فكشفت ، فرأيت زوجتى قد بليـت أجسادهـا ، وتفسخت أعضاؤها سوى ثدييها ، ورأيت الغلام يرضع ، فرفعت الصبـى ، فقلت : الهى مننت على برد ولدى هذا ، فلو رددت زوجتى لعظمـت منتـك على ، فسمعت هاتفا يقول : أودعت ، وأنك عند الله فرده اليك سالما ؛ فلو اودعته (5) زوجتك لردها اليك سالمة كما رد ولدك سالما .

المصدر : مجموع قصص دينية ، لمؤلف مجهول ، المخطوط رقم 319 بـدار الكتب الوطنية ، الورقة 40 ـ 41 .

التحقيق : (1) فى الاصل : عجيبا ـ (2) فى الاصل : وان كان ـ (3) فى الاصل : فتوضيت ـ (4) التركيب لا يستقيم ـ (5) فى الاصل : أودعتك .

التعليق : تكتسى الخارقة فى هذه الحكاية صبغة دينية تجعلها أقرب الى المعجزات . والشكل سليم غالبا ، ماعدا التكرار الدال على الاصل الشفوى . وفى النص رمز قديم هو تداخل الحياة والموت فى عملية ارضاع الجثة للطفل .

صرخـــة الدمــــاء

الهادى حمودة الغزى

ـ 2 ـ

غرفت حمام الغزاز فى ظلامها الكئيب حيث يعانقها وينعقد فى سمائهـــا دخان القنابل المتكاثف ، فبدت كما لو هبت عليها رياح عاد العاتية فأماتت كل شىء ودمرته ، فلا نور ، ولا حياة . ولا حس ، ولا أصوات ، ولا شىء من هذا الذى كانت تعج به القرية فى لياليها المواضى حين كانت حياتها عاديـة وفلاحون وخدام السوانى يهيئون سوانيهم لبذر الكاكوية ، وزراعة الفلفـل فيعودون متأخرين وتضج البلدة البهية بأصوات الحيوانات وأحاديث أربابها ، وتعيش فرحة لياليها كسعادة أيامها وكل ما يلوح لك بين الحين والحين طيوف كالخيالات أو خيالات كالطيوف لا تكاد تلمح حتى يرتد البصر دونها حسيـرا ، لا يدرى خيالات هى اختلج بها الكيان أم أطيـاف صنعهـا العقـل الذاهـب المكلول او الاعصاب المفككة المهدودة حتى لكأنها الرعب وجنود الخوف تجمعوا ليجثموا تلك الليلة على صدر البلدة الصغيرة المروعة ، فالمرأة التى لم يرجـع اليها زوجها لم تستطع أن تتحرك لتسأل ومن تسأل ؟ والطفل الصغير الذى أظله الزلزال فقد كل حركة كأنما شد الى حضن أمه شدا ، وما كان ليلاعب النوم أجفانه الصغيرة المشبوبة . وقد كان فى مثل هذا الوقت من تلك الايام المواضى ينام ساكن الجفون ، والأم التى نظرت فرأت بعض مضـاجع أبنائهـا خاوية تاهت قلبا وفكرا ، وأضلها الدوار الصاعق فأذهلها عن أفلاذ أكبادها . وقد جفت الحلوق وتاهت العبرات وتجمدت الاحـاسيس . والانسـان ـ ولا يعرف ذلك الا المجرب ـ عندما تتجاوز المصيبة المدمرة حدها ، ويكون البـلاء

(*) طالع الجزء المنشور من هذه القصة فى مجلة « الفكر » عدد 9 ـ جوان 76 السنة 21 .

فوق ما كان تتحمله قدرة البشر ، يجد نفسه أو يجده غيره ممن لم يكتنه حقائق المواقف فى حال من السكون وعلامات الثبات على أنه جلد وصبر مع أنه فى الحقيقة أثر من الذهول يعترى من تجاوز البلاء فيه حد قدرة احتمال الذات البشرية . فمن أين للانسان مهما كانت رابطة جأشه ، الاحتفاظ بحضور مشاعره وأحاسيسه فى بلده حصدتها مدافع الطائرات الرشاشات جوا ومدافع الدبابات وقنابل الايدى أرضا ، ثم استباحتها أيد مجنونة تصنع الدمار والموت وتسحق الحياة . فى ساعة واحدة تمت فيها مجزرة بشعة وحشية ذهب ضحيتها نساء ورجال من الدستوريين المناضلين الشرفاء وأطفال انتزعوا من أحضان أمهاتهم وضرب بهم ــ للتشفى ــ عرض الحائط كما لو كانوا ضفادع فى أيد حمقاء عابثة مجنونة .

ثم بعد هذا كله تختم المسرحية الاثيمة بكنس البلدة من رجالها وشبابها وتلامذتها كنسا وتبييت البلدة بلا رجال وكل ذنب هؤلاء أنهم دساترة شاركوا فى مظاهرة 24 جانفى وقالوا : ربنا الله وزعيمنا حبيبنا والخضراء تونس للتونسيين .

وحين تسلل الطوار الى البلدة ليتصل بمن تبقى من أعضاء الشعبة وخلاياها ليبلغهم تعليمات الشعبة كان دكان ولد سيدنا تنوره بلارته وتطرح فضلة من نورها الباهت عبر بابه ، المفتوح أحد شقيه فجعلت منه أشبه ما يكون بلوحة رمادية ممدودة من عتبة الباب حتى جدار المقهى المظلم المهجور . وكان دخول الطوار من شارع الجامع الجديد وحين وصل الى تقاطع الطرق حيث دكان عبد القادر التفت شرقا متنورا ذلك الدكان فانعطف نحوه متنسما وسمع لغطا منه وقبل أن يقرب شعر بأن جماعة الدكان ، من خلال أصواتهم ، انهم هامون بالخروج فاندس فى تحويطه كتاب المؤدب الطالب أحمد حيث يرقبهم ولا يحسون به ، وبدأ رواد الدكان وما كانوا الا الرجال الكبار يخرجون الواحد تلو الآخر فكانوا سبعة وثامنهم ولد سيدنا خرج وفى يسراه بلارته وفى يمناه مفتاح أغلق به دكانه والجماعة من حوله وقوف . ووصلت الى أذن الطوار كلمة ثامن النخبة :

ــ كلكم مسؤولون ، سمعتم ؟ ما بقاش ليكم هروب . بكلكم معاى .

وبهمهمة واحدة وعبر سعال بعضهم وطحيره :

ــ نعم نعم . وزاد بعضهم للتأكيد :

ـ السكوت يختلف الطحين واجب علينا جميعا العمل والبلاد ماهياش على ذرنها والجمال بعد هذا كلـه تمشى على كبارهـا والا ولات البعابص روس ، تصبح على خير يا ولد سيدنا .

وأعجب ثامنهم بما يسمع فقال بابتهاج وبأبأة :

ـ صحيح صحيح هذا هو . لا تنسوا غدا هنا ، تصبحون على خير .

والجميع بصوت واحد وكل فى وجهته :

ـ نعم نعم تصبح على خير تصبح على خير بحول الله ان شاء الله ان شاء الله ان شاء الله ...

ومر قرب التحويطة شخصان من لجنة الثمانية عرفهمـا من لهجتيهمـا قـال أحدهما وكان يتكلم وتوتة :

ـ أشنوه رايك ؟ فقال صاحبه كانما يظهر له فن حذاقته :

ـ وأنت شنوه ؟

ـ أنا ؟ حتى النهاية البلاد موش على ذرنها فنحن الرجال الكبار أصحـاب الحل والعقد فيها وتأنى فى خطوته ليسير جنبا الى جنب مع صاحبه .

ـ إذن أنا مثلك وإن كان المفروض أن أخرج عنكم ألا ترى أن صاحب الحملة أبى أن يطلق سراح ابنى رغم تأكيدى له ومعى ولد سيدنا لم يسر فى المظاهرة ولا عرف كيف هى .

ـ يا سى صالح الواجب أن تكون معنـا وأمـا ابنـك فالمسألـة بسيطـة سنمشكيها غدا بحول الله فى البيرو ثم إن ابنك ليس وحده فالمصيـدة هـذا اليوم لم تترك أحدا أترى قائد الحملة كان يطلق سراحنا لو اننا لم نضمن له تهدئة البلاد ؟ والله لو ترددنا لحظة لأطار رؤوسنا أو لرمانا مـع الجميـع فى شكارة واحدة الصبر يا سى صالح وان شاء الله أكحد الباس .

ـ إن شاء الله أكحد الباس كيما قلت . لطالما قلت لابنى اخرج منا إلـواه البقاء ارجع لتونس حتى بدون قراية والله يا سى حمادى قلبى ما ارتاح حين حدثنى ابنى عن اضرابهم بالمدرسة ورجوعه لى يجر رجليه .

ـ لاهو ولدك وحده الوليدات كلهم جابوا المفيتحات وجاؤوا .

ـ أعرف لكن ولدى يا سى حمادى ماخرجش من الدار طول اليوم حتى جاء الجيش وأخرجه والله لو كان خرج مثل بقية أصحابه لهان على الامر .

ـ ما تحطش هذا فى بالك ولد سيدنا غدوة يمشكيها والمهم تو ان لا نترك البلاد تلعب بها الاطفال .

ـ هو ما يلعبو باها أكهو ، يا راجل لو ما كان لطف ربى نشينا فى خبر كـان .

ـ صحيح هذا والحمد لله على كل حال ، المهم أنقذنا أنفسنا وسوف يكون ضماننا أساسا أمام المراقب ودليلا على أن حمام الغزاز فيها عقلاء ورجال كبار.

ـ مزال غدوة ربى يكملو بخير ، القايد يحب جمع السلاح .

ـ ربى يكملو كيما قلت بخير .

وتوقف هذا الاخير بعد أن أصبح أمام منزله ليقول لصاحبه صالح :

ـ تصبح على خير ، انحس رأسى منتفخ كيف الطبـل اللـه يهلـك أولاد الحـرام .

ـ ما أبركها يا سى حمادى أولاد لحرام لا يوفق فيهم لا يتهناو ولا يخليـو اشكون يتهنى ، تصبح على خير ، وما تنساش الموعد .

ـ أنا ؟ كيف أنسى ستجدنى أمامك ، أصلى الصبح ومن الجـامع أتوجـه للبيرو .

ـ إذن لقاؤنا بالجامع ومنه الى ولد سيدنا نتقهوج عـدو وربك يفرجها .

ـ اتفقنا غدا ان شاء الله ان شاء الله .

سمع الطوار هذا الحوار بين الحاج صالح وسى حمـادى فاضطـرب قلبـه وتلاعبت حواجبه المقوسة فى وجهه الصغير وفى خفة حذرة انزلق كالغـزال . يجب أولا أن يتصل بأخوانه كما أمره رئيس شعبته وقـال فى نفسـه إن فى الاه وسرا يجب اعلام مؤسس الشعبة بكل ما سمعته لا بد فى الامر سـر ؟ وراح الطوار يتسلل من دار الى دار ، فمن وجده أخبره ومن لم يجـده تـرك الوصية لدى من وجد من أهاليه ولم ينس أن يمر بمنزله حيث مستقر العائلة كلها ليرى الأم الشيخة الحنون وقد قوس الدهر منها لظهر . وبيضت الايـام منها ما كان أسود . وكان عنـاق الأم الشديـد باليـدين النحيلتين ، وكانت

تمتمات وعبرات تعرب عما يجيش بالصدر بعد انعقاد اللسان . أما زوجته منية الفارهة القوام الوحى هيكلها بما هى مستعدة لتحمل كل مهم فلم تحرك ساكنا إزاء هذا اللقاء ، تنظر بعينين جامدتين وأطاح الطوار بنظره على زوجته كأنه يريد أن يحرك فيها السواكن فى الوقت الذى بدأ يقترب من الباب ، فقال لها :

ـ اشنوه يا منية .

ـ عجاجة أرجو أن تمر بسلام .

ـ عجاجة من الاستعمار والله يا منية لكن الصبر ...

ثم كأن خطر به خاطر فتراجع دون الباب موجها سؤاله الى أمه :

ـ أخوتى يا أمى .

وابتسمت العجوز .

ـ هم بخير ان شاء الله جاء العروسى الآن وكان مختفيا فى بئر الدار مع أختك « فافانى » وزوجها .

ـ هى فكرة والله .

أما عبد الرحمان ومحمد فانت تعرف أنهما يعملان بالغابة ومجيئهما غدا . ربى يسمعنا الخير يابنى . قالتها العجوز وخفضت رأسها لتفسح المجال لتساقط دموعها .

ـ ونساء أخوتى أين هم الآن ؟

وتردد نظر الطوار بين أمه وزوجته ينتظر الجواب .

فأجابته الأم :

ـ هم الكل فى دار العروسى .

ـ هذا أحسن يا أمى قولى لهم يباتوا مع بعضهم لتطيير الوحشة . وأنت يا منية كونى معهم ، والله أعلم ماذا يبيت الليل . ووصى أخى العروسى أن يأخذ حذره ، الجو ماهوش صافى .

وخرجت منية عن سكوتها سائلة :

ـ إماله أنت بايت الليلة خارج الدار ؟

ـ أشنوه رايك ؟ ما يعودوش لنا زعما ؟

وشايعت العجوز رأى ابنها .

ــ أحسن يابنى اللى تراه صالح أعمل ربى يسترك .

وانكفأت العجوز متأرجحة وتبعتها زوجة ابنها بينما الطوار خرج يطوى الشوارع الخالية طيا وهو عند كل منعطف يتحسس تحسس الذئب وينطلق انطلاق الغزال . وعند وادى « الشرشاره » الحامل تحسس مضايقه حتى انتهى الى وصلة من جناح بئر وعارضة موضوعتين على احدى مضايقه ، معبرا فتسنمهما مجتازا وهو يهمهم مبتسما وصلوا والا من عمل هذه القنطرة وخسر صاحب البئر الجناح والعارضة على كل لم يحن بعد وقت السنى .

وعلى مقربة من غابة سيدى نصر تكنن الطوار شجرة توت ملتصقا بأصلها وكانت على مرتقب دونه منحدر وبساتين ، موصولة الالتفاف وانطلق من فم الطوار صفير منغم كصفير الزريس ولم يلبث أن تلقاه جواب من صفير فى الزاوية الشرقية من الغمد فتعين له الموضع فدلف .

ولم يكد يقطع الطوار المسافة بين موقعه وغمد سيدى نصر حتى فاجأه رئيس الشعبة من مكمنه صارخا صرخته المكبوتة ارفع إيديك ، حصلت كيف الضبع ؟ شفت ؟

ــ ليه يا سى حسين تعمل هكا بالله لو ضربتك .

ــ لا لا هدرا فين فردك ؟

ــ آه حقه هو عندك لكن ..

ــ لا ، لكن ولا ليت الحيطة يا طوار ومن أدراك أن الصفبر صفيرنا ؟

ــ لكن ...

ــ قلت لك لا لكن ولاهم يحزنون الحيطة . المهم نحن الان كما ترى نتمرن على حرب العصابات اشنوه رايك ؟ وضحك رئيس الشعبة .

ــ حاجة هائلة هى فذلكه ولكن عندها معناها .

ــ هى فذلكه ولكنها جد يا طوار هيا أخى اتبعنى .

وسار الاثنان الواحد تلو الآخر حيث كان الجماعة واذا بهم هناك : محمد الحجام وشقيقه عمر ومحمد الدن والصادق حمودة وعبد الله عيسى وعبد القادر حسن ومصطفى القربى ومحمد الزواوى . وصار الطوار فرحا :

ــ آه الحمد لله كلنا سلامات إذن والجمع كامل .

ولكن رئيس الشعبة بحزن واكتئاب يقول :
ــ فين الجمع يا هادى ؟
ــ آه صحيح فين عبد الله الحمام ؟ فين محيى الدين و ...؟
البركة فيكم مشيرا الى محمد الحجام وشقيقه عمر بل البركة فينا جميعا لقد فقدنا أعز الاخوة الله يرحمهم .

كان الجماعة منكسى الرؤوس حين كان الطوار يقول ما يقول وقد أخذ رئيس الشعبة مكانه بين الصادق حمودة ومحمد الدن وكأنه مل من طول ما تحدث به الطوار فقال له منكرا : يكفينا من الخطب اللى مات الله يرحمه واللى عاش عليه بالجهاد ، هيا يا طوار اجلس ، مشيرا له أن يجلس قريبا منه ولكنه رفض قائلا :
وتدخل محمد الحجام وفى نبرته حزن وغم .
ــ خل الطوار على عادته ، الاستقرار بات مصيبة .
وقال سى حسين :
ــ ديما كما انت يا طوار .
ــ وأضاف محمد الدن .
ــ غير يحضر روحو تو .
فسأله الطوار وهو يتنقل من جهة الى أخرى حول الجماعة :
ــ ماذا تقصد يا دن
ــ قصدى أن يكون الطوار هو الطوار أمس والليلة وغدا .
ــ سترى بحول الله ، أنا الطوار والا لا .
وقطع رئيس الشعبة الحديث بقوله :
ــ طيب يا جماعة . الى الآن فقدنا من المجاهدين أربعة وتجاوبت الهمهمات : الله أكبر إنا لله وإنا اليه راجعون عاشت تونس وعاش بورقيبة .
وعاد صوت سى حسين من جديد :
ــ أبوك ، يا محمد الدن الله يرحمه ، قال للرئيس بعد أن سمع خطابه بدارنا سنة 1937 :
« تحبشى يا سى الحبيب نبداوها من تو » وهو يعنى بذلك الجندرمة التى كانت تحاصر الاجتماع . فقال له وقتها المجاهد الاكبر :
ــ مش توه لكن النهار هذاك جاى لكن مزال وقتو .
وها هو يا محمد جاء الوقت والمهم الآن هو الصبر .

(يتبع)

الرسم بماء الحب على ورق الـورد

شعر : عبد الحميد خريف

إلى « عين » ذكرى ليلة شتائية

ومن تحت غيم الليالي

المغمسة الحزن في طبق الرعب ، تحمله
عاتيات الرياح ... به تتخطى جبال الجماجم
أضرحة المنتمين لخط الجراح ...
مستنقعات الدم القيح ... سجون
هولاكو ، وحيطانها اللولبيه ... وأبوابها
الموت زوقها بسم العقارب ... زينها
بأنياب حيه ...

تمدين حفنة حلم حريرى
وأوراق ورد تحيط بتاج
الغد الآتي من جزر
ماؤها عطر وتربتها
لؤلويه ...
مع موسم الياس والياسمين
غد الصحو جاء ... وحوله
أسراب طير مذهبة الريش ...
وخلفه أحلى الصبايا ...

ءع نسمات المساء المطل
على البحر ، ضاعت ظفائرهن
وتاهت مع النورس القادم
من شاطئ البرتقال مواويلهن

غد الصحو جاء
حبيبتي هيا
نعيد احتراف الغناء ...
وبالانتماء لسمر الوجود نجاهر ...
فليل المتاعب ، بالراكبين ظهور العقارب
سافر ... نجوم الليالى المشوكة الحزن
راحت ... فهيا حبيبتى عرى جراحك ،
أر الأهل ما وشم المستفز على
وجنتيك يوم امتنعت ... وكنت
أمامك ... جسمى ينابيع ملح وخل
تنز ... وكنت على مرأى منى تغنى
مواويل كنا حفظناها يوم اللقاء
العيون على دفتر الرفض ...

حبيبتى هيا
ومدى الى
بقية أوراقنا الدمويه ...
على شجر الزان تنشرها ..
وتحرسها الأعين الغجريه ...
حبيبتى قاربنا ... الآن أرسى ...
فلا خوف أن نترك البحر ...
ونحتضن الأفق اللابس ريش الحمام
حبيبتى هات ضفائرك
عليها ننام
فلا خوف يا حبى ... ليل الجماجم
كان منام ...

الشمس لمن يقطفها..

مسرحية : وحيد الخضراوي

> **النضال والد كل شيء ومليكه . فهو ينجب بعضهم كالالهة والبعض الآخر كالبشر ويجعل البعض عبيدا والبعض الآخر أحرارا.**
> **هيراقليطس من « كتاب الكون »**

الشخصيات

ـ عمر بن عثمان (I) ـ عمر بن عثمان (2) ـ ضرغام ـ زينب ـ الراوى ـ معمر فرنسى (I) ـ معمر فرنسى (2) ـ صاحب جريدة ـ جماعة من أهل الحل والعقد ـ خماسة ـ شاعر ـ رجل أبكم.

ـ الطور الأول ـ

ـ المشهد الأول ـ

الركح غارق فى الظلام . تظهر فى آخر الركح مشاعل تنير رويدا رويدا المكان بضياء باهت شاحب . تسمع اصوات خافتة متداخلة تعلو شيئا فشيئا . ينفصل رجل عن الجمع ويلوح بمشعله فى الفضاء تتحلق حوله المشاعل وتشكل نصف دائرة . يرقص داخلها رقصة عنيفة الايقاع .

الراقص : ياللى جسمك من طين وروحك من ضوء

افتح علينا الابواب

يا عارف بالغيب ويا قارىء الكتاب

الجمع : يا سيدى !

(رقــص)

الراقص : النار فى الصدر حمـات

واللشفة فى اللحمة حفـات

البحر من الرزية حمـل

الجمـع : يا سيـدى !

(رقـص)

الراقص : نهارنا ليل وليلنا نهار

اشرق علينا واغسلنا من العار

القادومة ما تحوك فى جبـل

الجمـع : يا سيـدى !

(رقـص)

يظهر الولى فى آخر الركح ، هو رجل ذو قامة خيالية . شعره مرسل على كتفيه . لحيته منسابة على صدره . عليه جبة رثة فضفاضة وبيده عصا غليظة يخر الجمع سجدا يتقدم الولى بخطى وئيدة ويقف وسط الركح تضرب البنادر وتضوع البخور .

رجـل 1 :

(1) عام كذب ، عام اخبار ، عام نذاير   عام اللى بـات الوطـن كـامل حـاير
عـــــام رواـــــــــــه   عـام تسعـة التسعيـن عـام يتامـى
عام شـاب مولـود انولـد فى عامـه   عـام انكفـخ مـن كـان ليـه دباير

رجـل 2 :

عـــــام الفــــــــده   عام تسـع وتسعيـن عـام يتامـى
عام بضـع كـاسح مـر مـا يتعـدى   عـام ان حبيـب العـز عنـى غـاير

---

(1) يقصد بالعام بطبيعة الحال العهد ..

رجـل 3 :

عــــــــــام محــلــــــــــــه عام اللـى فيه الوطـن خـاض بكلـه
عام « نيفرو » خش الجنـوب احتلـه ونصب عليـه الكفـر حكمـه جايـر
عـام ان لقـوا الاحـرار فيه مذلـــه شـى قـدره الرحمـان هكـه صايـر

★ ★ ★

المشهـد الثانـى

تنطفىء الاضواء على الجمع . الولى بمفرده على الركح .

عمر بن عثمان : انا رجل عادى بسيط تافه ولدت كآية نبتة برية فى عزلة الفراشيش القاحلة فجلدتنى الشمس بسياطها واطعمتنى الارض من ملحهـا وعقمها فشببت على الشدة وانستها واصبحت طبعا فى . واخذتنى الدنيا اليها فلم أر قط ـ والله ـ امرأة أقبح منها ولا نفسا تضاهيها عقوقا .

فرغبت عنها ونسيتها .

ولم يزل بى هذا العزوف عن الدنيا حتى اصبح جبلة فى .

انا رجل فقير مسكين معذب فى الارض . لا املك من الدنيا الا وجه ربـى ولا ارغب فى أى من لذاتها .

انظر من اعلى مكمنى فارى قوما يضربون فى الارض دونما مستقر بحثا عن مشرق جديد . أراهم يهيمون على ارض ملقاة على مدى البصر هى كجسد امرأة بور لم يمسسها قط ماء .

وأمعن فيهم النظر فأرى قويهم يركب ضعيفهم وأرى أخطبوطا هائلا يلـف حولهم أصابعه ويشدهم اليه شدا فلا يعود لهم معه حول ولا قوة .

واذا سئلت : لم هذا التفاوت بين العبد واخيه ؟

وهل إن هذه المآسى أقدار مقدرة أم انها مصائر موضوعة وضعا ؟ تنتابنى الحيرة وتستبد بى أياما حتى أفزع من نفسى واكفر بها .

لكنى رجل عاجز لا قدرة لى الا على التقرب من ملكوت الرب العلى العظيم منه استمد سلواى واليه أتوق وفيه افنـى .

يقولون لى :

صوت 1 : لقد دخل « الفرنسيس » ديارنا فداسوها واعملوا فينا السلاح قتلا وتشتيتا

عمر بن عثمان : فأقول :

اللهم احمدك على انى لم اكن فى الارض فتزهق روحى على ايدى كفرة مناجيس واصلى مائة ركعة .

يقولون لى :

صوت 2 : لقد افتكوا أرضنا وداسوا حرماتنا وتغلغلوا فينا فأصبحنا غرباء فى بلادنا .. واولاد حسين يرمقوننا من علياء قصورهم ولا يتحركون .

عمر بن عثمان : فأقول :

الحمد لله الذى رأف بى فلم يجعل لى فى الارض مصلحة تقيد حريتى وتنزلنى الى الدرك الاسفل .

يقولون لى :

صوت 3 : لقد قيل لنا فى المنابر ان « الفرنسيس » ضيوف عليكم جاؤوا لاعانتكم فأكرموهم وأحسنوا وفادتهم ففعلنا ولم يكونوا كذلك .

عمر بن عثمان : فاصمت وأتنسك فى الجبل اياما .

يقولون لى :

صوت 4 : لقد اغتصبوا نساءنا وانتهكوا اعراضنا .

عمر بن عثمان : فأقول :

الحمد لله الذى رأف بى فلم يجعل لى م نبينهن زوجة واصلى مائة ركعة كاملة .

يقولون لى :

صوت 5 : ما معنى ان يولد الانسان ويكدح ويكدح ويموت .

عمر بن عثمان : فأقول : لا أدرى .

يقولون لى :

صوت 6 : ما معنى ان ينصب قوم أنفسهم علينا أئمة وسادة وهم ليسوا منا ولا عنا معبرين

عمر بن عثمان : فأقول : لا ادرى

يقولون لى :

الاصوات باجمعها : لقد طفح الكأس وحميت النار فى الصدر ماذا نفعل ماذا نفعل ماذا نفعل ؟

عمر بن عثمان : (بعصبية) لا ادرى .. لا ادرى .. لا ادرى ..

المشهد الثالث

عمر بن عثمان فى موضعه فى وقفة جامدة

يدخل الراوى

الراوى : قد تتساءلون من هو هذا الرجل ؟

ان التاريخ لا يذكره الا ويمر عليه مرورا سريعا وكانه يتجاهله او لا يقر له بفضل ، او بقيمة . لكنه رغما عن ذلك يعتبر احدى الشخصيات العديدة فى تاريخ هذه البلاد التى كان بامكانها ان تغير مجرد التاريخ .. او لنقل تمهد لتغييره .

فعلا .. كان بامكان هذه الشخصية الماثلة الآن امامكم ان تلعب دورا حاسما فى انجاح حركة غضب ظهرت يوم 26 افريل 1906 فى بلاد الفراشيش احتجاجا على اغتصاب امرأة . اذن كان الامر يتعلق بجريمة اغتصاب وبغضب شعبى تهيأت له الفرصة للانفجار . وبالفعل فان الذين ذهبوا الى المراقبة المدنية الفرنسية « بتالة » ليحتجوا لم يكونوا افراد عائلة المرأة المغتصبة فقط ، بل آلاف من الاهالى يحملون على اعناقهم ثقل بلاد اغتصبت الف مرة ومرة وفى عيونهم بريق غامض هو كالنار الكامنة فى جوف البركان او كالريح التى تداعب البحر قبل ان تنفخ فيه وتهزه هزا .

لكن سرعان ما انطلقت النيران من نوافذ المراقبة المدنية آتية من فوهات بنادق ومسدسات المعمرين الذين اشتموا من هذا التحرك رائحة العاصفة .

وتحدث الفرنسيون انذاك لتغطية هذه المجزرة عن « تمرد لقطيع من الاهالي يقوده ولي مراوغ محتال طماع دجال جبان يأمر بتقتيل العزل تحدوه نعرة دينية لنشر تعاليم الدين الاسلامي » .

ولي ؟ أمر غريب !

من يكون هذا الولي يا ترى ؟ (يدور الراوي حول عمر بن عثمان ويتفحصه) قد تجدون مثلي انه من غير الطبيعي او لنقل من غير المألوف في ما ورد الينا حتى الآن من اخبار الاولياء ان يقود احدهم انتفاضة شعبية ويتبنى قضية تحرير لارض مغتصبة بعد ان عاش كغيره في ظل باي أو قايد أو خليفة أو داخل كهف في اعلى جبل بعيدا عن الدنيا .. عن البشر .. بعيدا عن الارض..

هناك فعلا غموض في هذه القضية .. غموض يكتنف هوية هذا الرجل وافكاره ومواقفه ويجعل الاخبار التي تنسب اليه قيادة حركة الغضب هذه ضد نظام الحماية محل نظر ..

وبالفعل فلكل روايته لهذه الانتفاضة ولكل نظرته الى هذا الولي .. حسب اختلاف المصالح وزاوية النظر بطبيعة الحال ..

يقول احد المعمرين الفرنسيين :

معمر 1 : « لقد آل الامر بالاهالي في الظرف الحالي وفي أماكن كثيرة الى ان يقتاتوا من الخبيزة والطلاغودة مما يبرر سهولة وقوع هؤلاء الجياع المساكين في مخالب مشوش كان يحمل المحتل مسؤولية مصائبهم » .

الراوي : اما عن الطريقة التمدينية التي اتى بها الفرنسيون والتي اوهمت التونسيين طيلة ربع قرن منذ انتصاب الحماية بانها تحمل رسالة حضارة ودعوة الى التقدم فقد ظهرت في هذه الحادثة عارية الوجه واضحة النوايا محددة الوسائل .. استمعوا الى هذا المعمر الفرنسي الذي يشكو من عدم تقبل التونسيين بالترحاب لهذه الطريقة التمدينية :

معمر 2 : « اننا نوجد هنا ، نحن ورثة الثورة الفرنسية العظيمة ، لتبليغ هذه الشراذم الجائعة رسالة حضارة . ولن يثنينا اي شيء عن القيام بواجبنا التمديني هذا . اني لا أستطيع أن أعد كل الرصاصات التي رميتهم بها . واذا

مال هؤلاء « البيكوات » (*) الاجلاف نحو اليسار فان رصاص بندقيتي يقوم مقام السوط . انى امدنهم بهذه الطريقة انهم لا يفهمون الا هذه اللغة » . (1)

الراوى : وما هو موقف « أهل الحل والعقد » المستنيرين بنور الحقيقة .. المؤمنين بالله وبالرسالة التمدينية التطهيرية .. الحضارية للقوات المسلحة الفرنساوية ! هذا أحدهم يصدع برأيه السديد وبحكمه الفصل فى هذه القضية . تفضل سيدى الشيخ ..

الشيخ : بالله عليك لا تفضحنى .. انى اكتب بامضاء مستعار فى جريدة « الصواب » الغراء واعمل بالحكمة القائلة « لا تدخل يدك للمغاغر لا تلسعك اللفاعى » و « واللى خاف نجا » و « أم الخواف لا تفرح لا تحزن » .

الراوى : نعم الحكمة !

الشيخ : العفو ! « اذن بينما كان الناس منصرفين بهمة وحماس تحت رعاية سيدنا ابقاه الله واطال علينا نعمته الى ما يفيدهم ماديا وأدبيا اذ ورد عليهم ذلك الخبر المحزن الذى تلقته الامة التونسية بزائد الاسف والاستياء .. ومفاده ان اعراب الفراشيش الخائضين فى أبحر العماية اعلنوا التمرد والعصيان تحت زعامة درويش مغربى اسمه عمر بن عثمان ـ قبحه الله وقبح سعيه ـ !

وبمجرد تظاهر اعراب الفراشيش بهذه الحركة العدوانية الخبيثة امام المراقبة المدنية حتى اصلاهم عملة الفسفاط الذين جلبتهم المراقبة المدنية نارا حامية من افواه البنادق مشفوعة بقراطيس تلك المادة المتفرقعة وهى اقوى تأثيرا من رصاص « دمدم » الذى حرم استعماله مؤتمر « لاهاى » فى الحروب .

وقد اراد عملة الفسفاط بهذا العمل خدمة الانسانية والشفقة على النوع البشرى لا طمعا فى الالقاب الشرفية من طرف الدولة البهية وانما مقصدهم مبنى على ان الاعراب فى عيشة تعسة فالاولى بهم ان يلتحقوا بالرفيق الاعلى!!

(*) يطلق الاستعماريون كلمة « بيكو » على أهل البلاد مبالغة فى احتقارهم .
(1) «المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى » شارل اندرى جوليان صفحات 96 ـ 94 ترجمة الاستاذين محمد مزالى والبشير بن سلامة

ولا يخفى على العاقل الحصيف انه لو كان هؤلاء الاعراب على بينة من دينهم لما نزعوا للثورة والعصيان مهما كانت الاسباب . » (1)

الراوي : هذه رواية سيدنا الشيخ الجليل لانتفاضة اخوانه الجياع الذين بلغوا حدا من البؤس واليأس لم يعد لهم معه الخيار الا بين أمرين : الثورة او الموت .

أما رواية صحيفة « لا تينيزي فرانساز »

فانها تختلف عن ذلك :

صحافي فرنسي : « تعتقد الاوساط العليمة ان حركة التمرد هذه ليست ذات صبغة سياسية ولا دينية .

هنالك شيء غامض يكمن في هذه الحركة لم نتوصل بعد الى الكشف عنه . » (2)

الراوي : وكما تعلمون ايتها السيدات ، ايها السادة .. قضت الحماية الفرنسية والى جانبها المتعاطفون معها من الاهالي المستنيرين بنور « العلم والحقيقة » اكثر من خمس وستين سنة لمعرفة هذا الشيء المبهم الذي لم تتمكن من ادراكه والوقوف على حقيقته .

على كل .. اين الحقيقة في كل هذا ومن هو في آخر الامر عمر بن عثمان : هل هو رجل فهم ان الايمان اجتهاد وجهاد فمزق جبة التنسك والخنوع واللامسؤولية وتبنى قضية تحرير أم انه مجرد كبش فداء قدمته السلطات الفرنسية لتحميله مسؤولية قيادة حركة غضب لم يقدها ولا فكر في قيادتها .

هذا لا يهم . الامر الثابت في كل هذا هو ان عمر بن عثمان شاء ذلك أم لم يشأ وجد نفسه في قلب حركة غضب كان عليه ان يندمج فيها بكل جوارحه وان يحول الشعلة الى شرارة والشرارة الى ثورة ..

أليس ذلك هو واجبه وهو الولي المجتهد في التقرب من الله .. المنارة التي تهدي الناس في الظلمة .. الصوت الذي يجب ان ينطق بالحق عندما يسود

(1) جريدة « الصواب » 4 ماي 1906 .
(2) عدد 1 ماي 1906

الباطل .. العقل الذى تأمل وعرف وفكر وادعى فى الدنيا معرفة وفى الدين تفقها .. أليس هو البصيرة المستنيرة بنور الرشاد والمعرفة التى يرقب الناس فى حلكة ليلهم ومضة من ومضاتها تهديهم سبيل النضال والحرية ..؟ أو على الاقل هذا ما نفترضه ..

ما هو موقفه من منزلة قومه الذين أضناهم البؤس واستبدت بهم الحيرة وادلهم امامهم الافق ؟

* * *

المشهد الرابع

(اثنان من الحماسة من بلاد الفراشيش)

الحماس 1 : يجب ان نفعل شيئا .

الحماس 2 : اى اشىء ؟ لقد زرعنا البطاطة فاضطررنا لبيعها فى تربتها وهما اننى اصبحت الآن اقتسم مع بقرتى الحشائش البرية و «الطلاغودة» !(I)

الحماس 1 : (باحثا عن كلماته بحركات عنيفة) .

لا .. ليس هذا .. أريد أن أقول .. يجب أن نفعل شيئا ليس كالذى نقوم به كل يوم .. شيئا يكون كالرعد أو البرق أو العاصفة الجبارة التى تحطم كل شىء وتحمل الناس على اعادة بناء ما تحطم .. وعندها .. عندها يتبينون انهم يبنون شيئا .. شيئا جديدا يجلب الفرحة والفخر ..

الحماس 2 : لا أفهم .. هل تعنى اننا يجب ان نحطم بيوتنا بايدينا .. هذا حرام ولا يرضى عليه سيدى !...

الحماس 1 : سيدى لا يرضى الا على ما يرضيه ولا يرضيه الا ما ينفعه .

الحماس 2 : (يضحك ضحكة بلهاء) هذا كلام صحيح سوف لا اخبر سيدى بشىء !

الحماس 1 : كلما يمر فرنسى امام «الدوار» وينظر الى نسائنا نظرة فيها

(I) الطلاغودة : نوع من البطاطا البرية .

صلف واستعلاء واستخفاف يخفق قلبي خفقانا شديدا مدويا وبركض كالجواد الجامح فيعبر هذه الحواجز التي تحجب عنى الهواء والشمس والسماء ويدخل الديار والبيوت ويهتف هتافا مزمجرا :

« أيها الناس ان الكلاب لاتنبح والطيور لا تطير والجنين يدق بطن أمه برجليه عندما يمر جنود الكفار امام دياركم فأين انتم ،، اين انتم ، اين انتم . خذوا أسلحتكم ولتحيا الثو ...

الخماس 2 : (يكمم له فمه) لا .. لا .. لا تقلها .

(يلتفت يمنة ويسرة . فى هذه اللحظة يدخل جنديان فرنسيان يمران أمامهما يرمقانهما باشمئزاز) .

(متمما جملة مرافقه) .. ولتحيا فرنسا .. فرنسا (يحيى الجنديين تحية عسكرية . يخرج الجنديان) .

* * *

– يتبـع –

ورد الـى « الفكـر »

مناهل الأطفال : مجلة الاطفال تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالمغرب الاقصى ، اتصلنا بالعدد الثانى من سنتها الثانية وهى حافلة بالمواضيع الشيقة للأطفال .

مجلة مجمع اللغة العربية الاردني : صدر العدد الاول من مجلة هذا المجمع الفتى الذى مر على تأسيسه عام وبعض العام . نشكر صديقنا الدكتور عيسى الناعورى أمين عام المجمع على هديته ونتمنى ان يكون هذا المجمع الجديد ومجلته رافدا لتعزيز لغتنا وترقيتها .

ثورة فاشلة على الفشل

قصة : مبارك السنوسي

أنا فاشل ... أنت فاشلة ... حتى ثورتنا على فشلنا ثورة فاشلة .

الاصابع تحتك وخدك يأكل خدها وخيوط كهربائية تلسعك وتلسع قلبك ... قلبك فرن أحمر يتسع لاكثر من خبزة واحدة .

« سيدى الرئيس ... هذه حبيبتى وأنا حبيبها .

ـ بل تلميذتك وانت أستاذها .

ـ أجل ... هو ذاك يا سيدى .

ـ اذن أعد أمام المحكمة ما فعلته .

ـ حسنا .. سيدى الرئيس .

عجاج أصفر رمادى يسوقك الى المعهد ... التلاميذ فى انتظارك ... دخلت القاعة ... وقف التلاميذ ما عدا واحدة ... تلميذة واحدة بقيت مسمرة الى مقعدها ... أمرتهم بالجلوس فجسلوا وأمرتها بالوقوف فاستقامت مطيعة لامرك . ركح الاحداث أعد قبل وصولك بساعة ... الديكورجاهز ... الملابس جاهزة ... الانارة جاهزة والممثلون حاضرون : برسينيه حاضر .. سيلفيات حاضرة ... برقمان حاضر ... بسكينو حاضر ... السياف حاضر ... الخاطفون حاضرون ... لنبدأ :

ـ أوه مسيو برسينيه ... ما ابدع هذه الاشعار .

ـ والآن اصغى الى روميو وهو يجيب جوليات : بل تلك القنبرة يا حبيبتى جاءت تزف الينا تباشير الصباح ... أؤكد لك أنها هى ... ألا فليأت الموت فانى أرحب بالموت .

ـ أوه فليمسك روميو عن ذكر الموت ... والا بكيت .

وتصرخ فى وجه الممثلة :

ـ الا تحسنين قراءة النص ... بين قوسين سيلفيات تبكى ... ألا تبكين ؟

ـ أنا لا أستطيع يا سيدى .

ـ مكانك اذن . من منكن تحسن البكاء فى هذا الموقف ؟

وأجلت النظر بين التلميذات ... كلهن جالسات صامتـات ... نظـرت الى الفتاة الواقفة :

ـ وانت ... ألا تحسنين البكاء ؟

لم تجبك بل نظرت اليك ... دمعتان تسقطان من عينيهـا البـريئتين ... وبكت ... وشهقت .

ـ واصلى البكاء ارجوك ... الى الركح يا ... انت سيلفيات ... تكلمى ان الجملة بسيطة ... أوه فليمسك روميو عن ذكر الموت والا بكيت .

ـ أوه فليمسك الاستاذ عن ذكر الموت ... والا بكيت .

وتواصل تلميذتك البكاء ولكنك تصيح من جديد :

ـ روميو لا الاستاذ ... الاستاذ لم يذكر الموت ... انه يحب الحياة ويقبل عليهـا .

الاصابع تحتك وخدك يأكل خدها ومرارة تطغى على كيانك الداخلى :

ـ هذا ما وقع ... سيدى الرئيس .

ـ لا ... انت كاذب ... سنرمى بك فى بئر مظلمة .

ـ أوه ... لا يا سيدى ... سأقول كل شىء .

وتدخل القاعة مرة اخرى ... كل شىء جاهز كالعادة ... أجلت النظر بين الممثلين فوجدت أن سيلفيات لا توجد بينهـم ... وتبقى حائـرا تتجول بين المقـاعد .

تذوب سيجارة وتليها أخرى وسيلفيات لم تأت .

ـ سيدى أنا أعوضها ... انى احسن البكاء .

ـ سيدى أنا أشبه سيلفيات واستطيع تعويضها ...

وتدخل سيلفيات :

ـ مساء الخير ... سيدى .

ـ دورك ينتظرك ... الى الركح .

تمر الاحداث ويأتى العبيد ليختطفوا سيلفيات فتصيح البطلة : النجدة يا روميو ... وعوض ان ترتمى على الممثل الواقف بجانبها ، ترتمى عليك فيغمى عليها ، ويجىء المدير ... ويجىء القيمون ليحملوها الى المستشفى .

ـ ماذا حل بها ... كيف وقع ذلك ؟

ـ لا شىء ... سيدى المدير ... لا شىء ... لقد نتج اغماؤها عن خوف .

ويسكت الممثلون ... ولاول مرة تشعر بحبهم العميق لك ولها .

الاصابع تحتك ... وخدك يأكل خدها ... وبرودة تسرى فى عروقك :

ـ هذا كل ما وقع سيدى الرئيس .

ـ لا ... وبعد المستشفى والطبيب ؟

ـ حسنا ... سأتمم كلامى .

كان ذلك فى ليلة شتاء باردة ... اعددت قهوتك كالعادة وجلست أمام مكتبك تعد اخراجا جديدا للمسرحية ... كان كل شىء ساكنا فى غرفتك لا يتحرك حتى العصفور فى قفصه لا يتحرك . دقات عنيفة على الباب انتفضت لها وانتفض لها عصفورك . وبخطى ثقيلة ذهبت لتفتح الباب .

ـ من ؟ سيلفيات !

ـ سيدى .

ـ تفضلى .

وتدخل بطلة المسرحية فاذا هى مبللة الثياب ... على شعرها الذهبى قطرات مائية وعلى وجهها مسحة ندية .

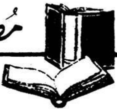
الاصابع تحتك وخدك يأكل خدها وخيوط كهربائية تلسعك وتلسع قلبك ... قلبك فرن أحمر يتسع لاكثر من خبزة واحدة .

ـ هذا كل ما جرى سيدى الرئيس .

ـ تؤجل القضية الى الغد ...

غدا ... ستقول كل شىء .. وسيلفيات ايضا سيفضحها التقرير الطبى وتقول كل شىء . غدا ... غدا يتقرر مصيرك ومصير سيلفيات الباكية ... انا فاشل ... انت فاشلة ... حتى ثورتنا على فشلنا ثورة فاشلة .

مطالعات



مسرحية «التربيع والتدوير» تفجير للتراث وبحث عن الحق

بقلم : محمد حمدون

مدخل

نشرت مجلة الفكر فى عدد اكتوبر 1977 مسرحية التربيع والتدوير لعز الدين المدنى وهى فى شكل معارضة لرسالة التربيع والتدوير للجاحظ لكن اين تكمن المعارضة ؟ المعارضة هى فى انعكاس الصورة وقلب الاطار وابدال المواجهة وتحويل الضحية !!! فاذا كانت رسالة الجاحظ تسخر من شخصية احمد بن عبد الوهاب وتتهكم على نسبه وحسبه وتسخر من منزلته وتزدرى من منصبه وتحتقر علمه فان مسرحية المدنى تعكس الوضع لكن هل بقى المدنى فى نفس الاطار دغم عكس الصورة ؟!! اذا بقى على نفس الخط فانه يعنى بكل بساطة : ليس هناك خلق ولا ابداع ولا تجديد ولا بحث !!! أما 'ذا تجاوز الصورة والاطار ليفجر التراث من جوهره ليخترق اللحظة التاريخية ويتجاوزها نحو الحاضر والمستقبلية فان الحكم ينعكس والصورة تنقلب هذا ما نريد ان نبرزه من خلال هذه الدراسة لمسرحية « التـ.بيع والتـ.ـوير »

بين رسالة الجاحظ ومسرحية المدني

وحتى نستطيع ان نلمس حقيقة هذه المسرحية وقيمتها الفنية لا بد لنا ان نتساءل : ماذا أخذ من رسالة الجاحظ ؟ وماذا أضاف اليها ؟ لنكشف في النهاية « التطابق أم التجاوز » ٠٠ فاذا كان التطابق فهذا لا يعني التطابق في المضمون بل في الفكرة وكذلك التجاوز في المضمون وهدف الابلاغ !!! بالرغم من أن الاولى رسالة أدبية والثانية مسرحية ذات شخصية منفردة ٠٠ ذلك ان رسالة التربيع والتدوير كتبها الجاحظ هجاء وسخرية ونقدا حول شخص وعمل وعلم أحمد بن عبد الوهابوذلك من أجل رئاسة ديوان الانشاء والعلامة الخليفة الواثق بالله العباسي فهي صرخة ساخرة ضد الظلم في توزيع المناصب والمراكز ٠٠ أما صرخة المدني في مسرحية التربيع والتدوير فانها تحلم بالحرية ، بالانعتاق في عصر الضيق « أكلكم ضيق ، شرابكم ضيق ، نكاحكم ضيق ، زيكم ضيق ، أفقكم ضيق ، عدلكم ضيق ، حكمكم ضيق ، عالمكم ضيق ، مصيركم ضيق ، موتكم ضيق ، قبركم ضيق ، الضيق ٠٠ الضيق ! افتحوا الأبواب ٠٠ والنوافذ !٠٠ »

أما شخصية أحمد بن عبد الوهاب وان كانت في رسالة الجاحظ واحدة وهي أحمد بن عبد الوهاب رئيس ديوان الانشاء الذي عاش في القرن الثالث الهجري فانها في مسرحية المدني قد عاشت في كل زمان ومكان ٠ أي أحمد بن عبد الوهاب تريد أن يخاطبك يا جاحظ ؟ أهو الذي عاصرك أم الذي سبقك أم الذي عاش بعدك بقرون ؟ واذا كان أحمد بن عبد الوهاب في رسالة الجاحظ قد عاش ومات في بغداد فانه في مسرحية المدني قد عاش في اليمن ومراكش والقيروان وسمرقند ومصر والعراق والقاهرة ودمشق والصين وأمريكا وافريقيا !!! واذا كان أحمد بن عبد الوهاب في رسالة الجاحظ قد عاصر الخليفة العباسي الواثق بالله فانه في مسرحية المدني قد عرف الاله مردوك وملوك الغساسنة وأمراء الدولة المرابطية وابراهيم الثاني الاغلبي وتيمورلنك ورمسيس الاكبر وحمورابي الملك القانوني والمماليك والامبراطور مينغ شونغ هوا والشركات الامبريالية في افريقيا والعالم الثالث!! واذا كان أحمد بن عبد الوهاب عند الجاحظ رئيس ديوان الانشاء والرسائل فقط فانه في مسرحية المدني قد كتب بريد الغزوات والحروب وتاريخ الفراعنة وتشاريع الحرية وتقارير القتل والاغتيال وحسابات الشركات الاستغلالية في افريقيا ٠٠ وهكذا فان مسرحية المدني تتجاوز رسالة الجاحظ على مستوى الزمان والمكان والمضمون والاطار ٠٠

التجاوز فــي	التربيـع والتدويـر (المدنـي)	التربيـع والتدويـر (الجـاحظ)
الشكل	مسرحيـة	رســالة
المضمـون	هموم انسانية	هموم ذاتيـة
الاطـار	الجاحظ (ضحية)	أحمد بن عبد الوهاب (ضحية)
المكـان	أحمد بن عبد الوهاب (فى كل مكان)	أحمد بن عبد الوهاب (عاش فى بغداد)
الزمان	أحمد بن عبد الوهاب (عاش فى كل زمان)	أحمد بن عبد الوهاب (عاش فى القرن الثالث)
المهـام	أحمد بن عبد الوهاب (رئيس عدة دواوين)	أحمد بن عبد الوهاب (رئيس ديوان الانشاء)

وهكذا فان المدنى لم يأخذ من رسالة التربيع والتدوير للجـاحظ الا نقطـة البداية فى شكل عكسى ومضاد لها وكذلك انطلق من شخصية أحمد بن عبد الوهاب كشخصية منفردة للمسرحية ليتجاوزها بعد ذلك على كل المستويـات ويوكد أن المسرح التراثى ليس خرافة كما يدعى البعض وليـس تواكـلا ولا استراحة ولا نوما على قارعة الادب بل انه خلق وبعث ومعاناة وولادة جديـدة لتراث أدبى لا بد من العودة اليه والرجوع الى خفاياه ذلك أن التراث هو ملك لجميع الاجيال حتى يقع استغلاله وتفجيـره من الداخـل حتى تحطـم أغـلال الخرافات والمعتقدات ، انه لا (يحفظ للمحافظة) بل يحفظ كى يقع استغلاله بدون أن يثير حساسيات مفتعلـة لان الادب يتجاوز جميع الظـروف وجميـع المعطيات والمسلمات حتى يستطيع ان يحلق بدون أن تكبلـه أيـة مسبقـات حساسية من زاوية التراث الادبى والدينى والسياسى فالتاريخ تاريخ كل فرد وكل ينظر اليه من زاويته ٠ ألم تنته الى اليوم فكرة التراث الـذى لا يمـس وفترة التمجيد والوقوف على أطلال البطولات والفتوحات والقصائد العصمـاء والرسائل ؟ ان المسرح التراثى يحلم لا بالتطابق والتناسخ بل بالتجاوز !!!

التجاوز فى الشكل والمضمون وليس المقصود التجاوز للشكل التراثـى فقـط بل كذلك للاشكال الغربية التى تكبلنا ٠٠ لان المسرح التراثى لا يهدف الـى العودة من اجل العودة بل الى العودة من اجل الوقـوف والنظـر والتمحيـص والنقد والمواجهة والحكم لان التاريخ المكبل لا خير فيه لاننـا سنبقـى نلوكـه ونلوكه لننفثه بعد أن يمر طعمه ٠ التاريخ هو فى النهاية « **التاريخ الحـافز لا المكبل** » كما قال قسطنطين زريق فى كتابه « نحن والتاريخ » ٠

الهيكـل والبنـاء الفنـى :

ان المسرحية قد جاءت فى شكل « شكوى » بما تحمله كلمة شكوى من ألم وانفعال واعتراف لوقائع الحياة وحوادث الوجود وهى شكوى يرفعها أحمد بن عبد الوهاب رئيس ديوان الانشاء ـ ضد الجاحظ ـ الى :

1 ● رب العالمين « العادل المنصف الحاكم الحكيم الرحمان الرحيم بعبده المظلوم ٠٠ »

2 ● والى « مجلس المظالم وقضاته السادة النجباء الجلة **الفضلاء** ورئيسهم خليفة رسول الله »

3 ● والى كل مؤمن غيور على دينه ودنياه ٠

لكن اذا كان أحمد بن عبد الوهاب قد حدد من البداية مراحل **شكواه الى** (الرب ، ومجلس المظالم ، والشعب) فان البناء الفنى جاء مخالفا لذلك وأخذت **شكواه مراحل أخرى** (الرب ، والشعب ، ومجلس المظالم) **فكأن أحمد بن** عبد الوهاب قد تفطن الى أن ازالة التهمة لا تكمن فى اصدار حكم البراءة من مجلس المظالم بل أن تقع براءته من ادعاءات الجاحظ من طرف الشعب والعامة والرعاع وهو ايمان قوى بحقيقة الحياة وديناميكية هذا الواقع اذن الحكم فى حقيقته لا يبرىء من شىء بل ان الايمان من طرف الطبقات السفلى من التركيب الاجتماعى هى الحقيقة وهى واقع الاشياء فكم من متهم هو فـى واقـع تفكيـر العامة برىء وكم من برىء هو متهم فى خفايا النفوس وداخلها :

فـى المقدمـة	فـى المسرحية
يرفع الشكـوى الـى اللـه	يرفع الشكـوى الـى اللـه
مجلس المظـالم	مجلس المظـالم
العـامة والشعـب	العـامة والشعـب

لذلك تكون نسبة شكوى أحمد بن عبد الوهاب الى الله سواء فى سره وهو يدعو ويصلى أو فى جهره يمتد على كامل المسرحية

أما شكواه الى العامة والشعب فيمتد من الجزء أو اللوحة 3 الى 24

أما شكواه الى مجلس المظالم فمن 6 الى 24 وهى أضعف نسبة لشكياته بسهطا أمام الخليفة وهذا ما يدعم ايمان أحمد بن عبد الوهاب بالعامة والرعاع أكثر من مجلس المظالم وخليفته

شكواه الى اللــه	26 لوحة	100٪
شكواه الى مجلس المظالــم	18 لوحة	70٪
شكواه الى الشعب والعامة والرعاع	21 لوحة	80٪

وهكذا فان ايمان احمد بن عبد الوهاب بعدل الله كلى كشـان التفكيـر الاسلامى والعقلية المسيطرة فى القرن الثالث وحتى اليوم ثم يأتى بعـد ذلـك ايمانه بالشعب ثم وأخيرا ايمانه الضعيف بأحكام مجلس المظالم لانها تبقى فى النهاية أحكاما زائفة يكسوها الضباب والغبار

أما المساحة المكانية فى المسرحية فيمكن تحديدها فى ثلاث مـراحل حتـى تستطيع ابراز الهيكل الاول للمسرحية

1 ● خارج مجلس المظالم : وهو فى طريقه الى المجلس ووقوفه بين الناس وصلاته وابتهالاته قبل بسط قضيته

2 ● داخل مجلس المظالم : عند بسط وشرح قضيته وكذلك هجـاؤه للجاحظ ووصفه لنفسه وتقديمه لحسبه ونسبه وكذلك قبيلته وجده ووالده وأهلـه .

3 ● خارج مجلس المظالم : فى صلاته وابتهالاته وأخيرا حيرته الابديـة كحيرة الانسان فى الكون وامام الواقع الذى يعيشه .

وهكذا فان أحمد بن عبد الوهاب وان كان الشخصية الوحيدة فى المسرحية فانه ينتقل على شكل مسار طويل كصراط مستقيم فهو يصلى ثم يبتهل الى الله ثم يتجه الى مجلس المظالم ليقف أخيرا أمام الباب بين العـامة والرعـاع والشعب وبعد طول انتظار يدخل الى المجلس ويشرح قضيته ثم يخرج ليصلى

فى انتظار المداولات واصدار الحكم لكن الحكم لا يأتى فيبقى أحمد بن عبد الوهاب الى نهاية المسرحية حائرا متسائلا :

« كان فى مستطاعى ان ألقى عليك ألف سؤال لانهم خزنونى بألف ألف سؤال فى كل علم وفى كل فن ، خزنونى بألف ألف جواب فى كل علم وفى كل فن ، أنت انسان ضعيف أنت انسان صغير ، أنت انسان حقير ، أنت انسان جهول ، انسان أنت انسان انسان ، أنت جهول ، أنت أنت أنت أنت أنت . »

لكن وان جاءت المساحة الزمانية واضحة فان المحاور الداخلية فى المسرحية متداخلة ومتشابكة فى مضمونها واهدافها وعمق النظرة للاشياء وللحياة ومعاناة الانسان .. ذلك أن 26 فقرة أو لوحة التى تقسم وتحدد النص المسرحى كما ابرزه المدنى ليس ضروريا ذلك أن النص (ككل) متكامل فى حد ذاته ..

اللوحة	أحمد بن عبد الوهاب	
1	يصلى	خارج مجلس المظالم ①
2	يبتهل الى الله	
3	فى طريقه الى مجلس المظالم	
4	أمام باب مجلس المظالم	
5	بين النـاس	
6	أمام الخليفة رئيس مجلس المظالم	داخل مجلس المظالم ②
7	يشرح قضيته	
8	يلخص قضيته	
9	يجيب عن أسئلة الخليفة	
10	يفاخر الجاحظ	
11	يجيب ثانية على اسئلة الخليفة	
12	يصف الجاحظ	
13	يتحدى الجاحظ	
14	يجيب ثالثة على اسئلة الخليفة	
15	يقدم شخصه	
16	يقدم جده	

	يقدم والده	17	
	يقدم نفسه ثانية	18	
	يشرح أمره وشأنه	19	
	يصف وظيفته	20	
	يهجو الجاحظ ويفاخره	21	
	يشرح الخصومة بينه وبين الجاحظ	22	
	يصف نفسه ووظيفته	23	
	ينصح الجاحظ	24	
خارج مجلس المظالم ③	يصلي	25	
	؟	26	

ويمكن الوقوف على هذا التكامل حتى من خلال اللوحات التى تتناول كامل النظرة فى أغلب الاحيان .. فالصلاة والابتهال شكوى الضعيف وشكوى المداس وهجاء الجاحظ شكوى وابراز محاسن النفس شكوى مضادة لتهمة أراد أن يلصقها به الخصم والشكوى الصامتة أمام الوجود والواقع والحياة وكذلك الدوائر التى تصنف وترتب الانسان هى بدون شك الحيرة الانسانية فى عالم متداخل لا يعرف أين هو ؟ وماذا يريد ؟ وبماذا يحلم ؟

« لكم تغنيت ـ مثلك ـ طوال العهود والعهود ـ بالانسان التواق الى التمام والكمال . لشد ما ترنمت ـ مثلك ـ أيضا عبر القرون التى تغرق فى القرون بقيم الانسان الى الخير ، والعدل ، والحرية ، والكرامة ، لطالما كنت ـ مثلك كذلك ـ بأن للانسان معنى ، بأن للانسان قيمة ، بأن الانسان فوق الحيوان فوق كل شيء ..

كان حلما كالفجر نورانيا طيبا لذيذا . واليوم ، ياجاحظ ؟ كانت القيم تغرينا ، بلى تغوينا ، فننصاع مذعنين ، تهزنا حماسة السبق ، وتسلق أعالي الجبال ، والبذر ، والزرع ، والقطف ، فالتهمناها التهاما ذريعا ، كنا نسورا واليوم ياجاحظ ؟ حشرات عمياء فى ليلة حالكة الظلام ... »

(يتبع)

فى الأعداد القادمة تقرؤون

قصة : نور الدين بلقاسم ...... **الحب .. والزمن .. والموت ..**
قصة البشير التلمودي .... **رسالة مفتوحة الى « عنبر »**
لوحة : فاطمة حيدرى .... **أشياء غامضة**

بريد القراء

مجلة «الفكر» ص ب 556

قصيد شكر لمدير الفكر

بقلم محمد أحمد ساسى

لُحْ في سماء الخلد ، فهو نجاح … وأنر ، فضوؤك منة وصلاحُ
مَا تاه فكر في إدجنة حيرة … الا وكنت له بها المصباحُ
كم من معان وعرة أطرافها … يسّرتها ، فأضاء منك صباح !
والحكمة الغرّاء أنت نسجتها … فإذا فعالك كلها إصلاح

★ ★ ★

ما هبّ ريح للثقافة من يد … الا وهبت من يديك رياحُ
فكأنك السوق التي لاتنتهي … خيراتها ... إذ كلها أرباح
أو لجة عذبت ، ولاح صفاؤها … أبدا .. فليس تشوبها الأملاح
أو روضة كملت ، وفاح اريجها … وصفت ، فلاحت أزهر وأقاح
هذي «مواقف» كل سطر حكمة … القت بلفظ بنده الإفصاح ،
هـذي «مواقف» أسطر قد أعبقت … بشذى مداد حبره فواح ..
وأتت «دراسات» فكانت أفكرا … قد شع منها بالضياء صباح
فبدت – متى حطّ الظلام – له أتت … ورمت به عصفا كما الأرياح
هذا نتاجك يا مزالي واسمه … أدب ، وأمّا بنده فكفاح
أنت الذي أوجدته ولمثله … يحلو النشيد ، وتعذب الأمداح

● الصديق المهدى القرمازى . بوزقام – تونس ننشر له قصيدا بعنوان « جنة الحب » .. فى انتظار الطلوع من ذاته علينا بقصائد اخرى يتسامح فيها مع نفسه ليتجاوز الحدود .. مادام واقفا على أرضية صلبة من الايقاع الشعرى فالبناء سيقف مستقبلا فى شموخ .

سكن الليل فكانت أنتى .. ومع الآلام جارت جارتى !
لأنادى يا فؤادى ما ترى ؟ غابت الشمس ، ورقت نجمتى
أنا يا أشواق شمل تافه .. ليس لى فى الحب الا لوعتى

جنة الحب ورود عانقت أغصانها ..
وزهور من حرير نمقت ألوانها .
وطيور في سماها رددت ألحانها ..
غير أني لا أراها .. جنتي ..

* * *

● الصديق : البشير الحبيب المناعي ، سيدي بورويس - الكاف . وقصيده « المناضل » وقد تلمس فيه طريق الوصول الينا على ظهر التجربة الاولى ولئن لم يصل بعد فهو يعدنا بأنه سيأتي حاملا قلمه صاعدا الى الافضل . سآتيكم .. وأحمل في يدي منجل ومصباحا يضيء الليل كالمشعل .. لنحصد آفة الاحزان ، والحنضل .. لنصعد في مسرتنا الى الأفضل ..!

● الصديق : محسن الجديدي ، ديبوزفيل - تونس . وقصته بعنوان « ساعة الانتظار » أبعاد المضمون تحبل بها القصة ، يتمخض بها القلم ، غير أن الوضع كان صعبا لا في تحديد نوع الوليد الذي هو (قصة) ولكن الصعوبة تبدو في نوعية الوضع اذ المضمون يكون سطحيا اذا لم تتوسم آلام الوضع جبينه ولم تترك على صدره المعاناة آثار تفاعلها . تلك هي الابعاد التي ننتظر ان يوافينا بها الكاتب مبتعدا عن بساطة السرد وسطحية المباشرة .. فيكون بذلك أكثر توفيقا واقرب الى العمل الابداعي الخلاق . وتشجيعنا له دائم مادمنا ننتظر منه المزيد من اعماله الادبية المقبلة التي ستكون اكثر نضجا كما توحي لنا بذلك قصته الاولى هذه التي نقتطف منها حديث الساعة . وصوت الصراع مع الزمن ..

.. ونظر في ساعته .. كانت عقاربها تتحرك ببطء شديد .. تسخر منه .. وأحسها تتكلم في هذا اليوم بالذات ..

- مالك تنظر الي هكذا ؟.. اني لم أعهد مثل هذه النظرات منك .. لقد كنا دوما أصدقاء فلماذا هذا القلق ؟!.. أتريد ان اخطو أكثر من معدل سيري !.. لا تقل انك لست مضطربا .. اني احسست أن دمك أصبح يجري في عروقك بصورة غير طبيعية .. اني ملتصقة بك أكثر من غيري بل حتى في ساعات وحدتك التي تظن نفسك فيها انك وحيدا فانى فيها معك لا أفارقك .. أعاد النظر الى الساعة . ما تزال هي هي .. على بطئها .

- معك حق . فان الوقت لم أشعر به شعوري به في هذا اليوم ، يوم محاسبتي لنفسي . ألم أكن انا الذي أسخر منك أيتها العقارب .. نعم .. بل لم اكن احفل بدقاتك المنتظمة في ايام الدراسة عندما اضع يدي على خدي لأني كنت أتلقى العلم فقط ، بل لم أحفل بك الا في هذا اليوم ، ويوم

الامتنان ! أتذكرين عندما أخذتك برفق ووضعتك أمامي فوق المنضدة كـي لا تبرحي ناظري .. حقا لقد كانت دقاتك في هذا اليـوم وذاك أقـوى مـن اى وقت مضى .. أحسها في أذني كدق نواقيس كبيرة رنانة . في ذلك اليوم ابتسمت لك ومسحت وجهك الزجاجي وأعدتك الى مكانك ويدى تداعبانك ،

ـ انى الوقت يا هذا ، بل انى الصيرورة يجب عليك أن لا تنسى الوقت والصيرورة الناتجة عنه وتضعهما نصب عينيك . انك لا تشعـر بـي أنـت وأمثالك الا في اوقات حرجة جدا من أيام حياتكم .. بل انى لاعجب لكم بنى آدم فاذا ما مسكم الخير والسعادة نسيتمونى وأهملتمونى ولا تتذكرونـى الا في أوقات لا استحق أن أذكر فيها فتصبح لديكم الثانية سـاعة ، والدقيقـة يوما والساعة قرنا بأكمله . لماذا لا تشعرون بي وانتم تنعمـون بالسعـادة ؟ ها انا ذا أسخر منك ومن جميع من يتناسانى ولا يذكرنى الا في آخر وقت .

أجال نظره عبر الشارع فرآه طويلا . طويلا .. وكأنه قد تمطط في هذا اليوم بالذات . حتى أنت أيضا أيها الشارع الصديق ايها المكان تهزأ بى فـي هذا اليوم المشهود .!

نظر من حوله الى كل شيء فرآه آليا يتحرك بآلية ، وتساءل لماذا يتصرف الناس بمثل هذه الآلية في مثل هذه الظروف ؟. لماذا نعقد حياتنا منذ البداية فلا نستطيع التخلص من شباك التعقيد في آخر الامر ؟!.. لماذا لا نأخذ الحياة والامور على بساطتها ..؟ لماذا لا نأخذها كما هي ؟.. كما أتتنا .. كما كانت غضـة نضرة ؟! أضرورى تعقيد الحياة للتحكم في صيرورتها ؟! ان التعقيد يقتلهـا ويفنيها .. انها حساسة جدا .. مثله .. لقد أحبها بسيطة كما هي .. غير مشوهة غير معقدة .. بل ان الحياة لا تكون صافية كما هي الا عندما تصبـح في ايدينا ننظمها حسب ما نشاء .. ذلك هو هدفه دوما : تنظيم حياتـه .. النظام قبل العمل .. ذلك هو شعاره .. تنظيـم الوقت في كل شـيء فـي مراجعة الدروس .. في تناول الطعام .. في التنزه والترفيـه . ألا يقيـم البعض من أصدقائه وزنا لكل هذه الاشياء ، بل وكـل الاشيـاء الا عندمـا ترغمهم ضرورة الحياة على ذلك .. عندما يقتلهم الوقت .. لمـاذا لا نقتـل نحن الوقت ؟!.. لماذا لا نأخذه بين أيدينا ونسخره لنا فنعمل به الاعاجيب ؟ كثير من اصدقاء الدراسة لا يراجعون دروسهم بجدية ولا يحفظونهـا الا فـي آخر شهر ان لم نقل في آخر أسبوع . لماذا ؟ لماذا ؟ واستمـع الـى صـدى لتساؤلاته في نفسه المضطربة وفي هذه اللحظة بالذات تذكـر الكلمـة التـى قالها أحد أساتذته ودار حولها نقاش في الفصل . « ان الغربيين لم يتفوقوا علينا حضاريا ولم يفرضوا علينا علمهم الا عندما عرفـوا كيـف يستغلـون صيرورة الحياة ، عندما عرفوا كيف يدخلون النظام في كل شيء .. الا عندما اقتبسوا من تجارب الامم الاخرى كالعرب والفرس وغيرهم »

أصداء الفكر

للصادق شرف
(أبو وجدان)

● **الأستاذ محمد مزالي يفتتح الملتقى الاول ...**

صبيحة يوم الاربعاء 12 أفريل 78 ترأس الاستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية ورئيس اتحاد الكتاب التونسيين الجلسة الافتتاحيــة **لاول ملتقـى للجامعيين التونسيين والمصريين** الذى انتظم تحت اشراف مركز الدراسـات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس بالتعاون مع المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة حول الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع .

وكانت كلمة الاستاذ مزالى فى الجامعيين اصداءا برؤية واضحة لاحـــد المفكرين التونسيين الاعلام حول عدة قضايا مصيرية فى شمولهـا من ذلـك **قضية الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع** التى قال عنها : **إن وراء الانتقال من نزعات الانسلاخ والخيانة الى فرض القومية العربية يوجد فراغ ايديولوجي .** ورغم ذلك فان الاستاذ مزالى يعتقد ان الوطن العربى من خليجه الى محيطـه ثابت فى صفاته وواقع حى لأمة عربية اسلامية ليس باستطاعة اى كان ان ينكر الصفة الثابتة فيه او يغيرها ولا يريد الذين يكتبون ويتكلمون حـول صيغـة أحد الاقطار العربية غير ابراز اللون القطرى وخصائصه التى هى روافد تصب فى نهر واحد هو نهر الامة العربية .. وما العروبة فى نظره الا معنى حضاريا تنتفى معه كل المعانى العرقية .. وما ازدهرت الحضارة العربية وشملت كل انواع المعرفة الا انطلاقا من عنصرى المعتقد الاسلامى واللغة العربية .

وقد امتد الملتقى على المسافة الزمنية الفاصلة بين يوم 12 و 17 افريل 78 ليدرس موضوع **الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع** من خلال دراسات قـام باعدادها جامعيون من كلا البلدين : تونس ومصر .

● **وللمرة الخامسة يلتئم ملتقى ابن منظـور :**

وعلى امتداد الزمن الفاصل بين يوم 30 مارس ويوم 2 أفريل 1978 التـأم الملتقى الخامس لابن منظور بمدينة قفصة .

ولقد كانت (قضية التعريب) هي المحور الذى دار عليه رقاص الملتقى فى مجال زاحم بالعطاءات المتنوعة ، ولئن تنوعت العطاءات فشكلهـا واحـد ولا يتجاوز مفعول « الكلمة » التى تنتظر فاعلية « التنفيذ » .

وكيف ننتظر ان يصبح التنفيذ ذا فاعلية ما لم يصبح بيننا ممارسة فعـالة نحن المنطلق لها وعلى كل الواجهات . ابتداء من تذكرة الدخول الى السينما الى دليل الهاتف الى اسماء الشركات التى مازالت كلها ـ وغيرها كثيـر ـ نهبا لمخالب اللغة الاجنبية حتى اذا اريد الحد من حدة تلك المخالب فانها تشذب بمقص الازدواجية التى تكون للعربية فيها حظ القط حين يستأسد فاذا هى تتصدر الواجهة اليمنى العليا من « التذكرة » مثلا . ولا يعمل بها . فهى تصبح مثل (قفل على اذن جرة) والمعمول بها فعلا هى (الضرة) ولقد حررنا امرأتنا من الضرة فكيف لا نحرر لغتنا هى الاخرى من الضرة المضرة بها وبنا مباشرة .. أما زالت مسالة التعريب عندنا (قضية) ؟ أما زالت تطرح أيضـا علـى مستوى الملتقيات ببلادنا طرحا يذكرنى فى عملية طـرح عـدد من عـدد ؟ . والباقى على الله !! ذاك المفهوم الذى صار يتبادر الـى ذهنى كلمـا سمعـت كلمة (تطرح) ولست أدرى لماذا فقدت هذه الكلمة عندى على الاقل مفهـوم الطرح بمعنى التدارس؟ وصارت تأخذ شكل(طرح القضية) عندما لاتجد المحكمة المستندات القانونية للبحث فيها . ولعل ذلك ناتج عن تعدد مناسبات الطرح بدون ايجاد الحل .. أو قل اصبح طرح القضية نهائيا هو الحل (التحفظى) .

ولئن كانت وزارة التربية القومية هى المسؤول الاول على حظوظ التعريب وكان الرجل الذى على رأسها فى مستوى الشعور العميق بتلك المسؤولية الى درجة اجتيازه بها الحدود النظرية الى ماهية التنفيذ ، فان ذلك لا يكفى ما لم تتضافر جهود الكل وكل الجهود .. فالقضيـة مصيريـة الجوهـر ، وتبنـى القضايا المصيرية نضال ، والتونسة نضال . وهذا حكم وطنى ينتظر التنفيذ من الجميع .

● **وحديث فى الشعر بمجلة الاذاعـة :**

تحت هذا العنوان لا أقول كتب الزميل أحمد الحمرونى وانمـا جمع مـن أحاديث الشعراء المنشورة فى صحافتنا هذه الايام نتفـا كـون منهـا بـاقته

المنشورة فى « مجلة الاذاعة والتلفزة عدد 421 فى ركن ثقافة .. » ولئن كانت هذه الباقة خلاصة لتلك الاحاديث فى نظر القارىء المهتم بهذا الموضوع فانها تكون فى نظر القارىء من غير المتتبعين لما ينشر فى صحافتنا الثقافية موقفا شخصيا للزميل الحمرونى ذلك لأن ما جمعه لم يوضح فيه ما له وما لغيره وذاك ما لا بد من اتباعه والتنصيص عليه لكل من يعتنق أمانة النقل والجمع لآراء الغير ومواقفهم ولئن لم يتم ذلك فنحن نكبر اهتمام الحمرونى بما يدور على ساحة التجربة الشعرية الحديثة فى تونس اليوم من أحاديث وأخذ ورد فى مسائل عديدة تمس الشعر والشعراء من قريب او من بعيد كمسألة النشر التى قال عنها الزميل الحمرونى :

« اصبحت الحاجة ملحة الى مراجعة سياسة النشر والتعامل مع الصحافة بأنواعها . وعقد امسيات تقرب الشقة بين الفئات الشعرية . ونشر ملفات تعرف بالشعر التونسى الحديث فى العالم العربى » .

● **مجلة الفكر تعد ملفا خاصا وخالصا للشعر التونسى :**

أشرف الاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة الفكر يوم 24 مارس 1978 بمقر المجلة على اجتماع ضم اعضاء نادى الشعر بدار الثقافة « ابن خلدون » وهم الشعراء السادة : هشام بوقمرة ، الصادق شرف محمد أحمد القابسى وعلى دب وحسين العورى وعبد الحميد مواعدة وحميدة الصولى . وقد وقع تعيين بعض الادباء والشعراء والنقاد التونسيين لدراسة مواضيع مختلفة حول الشعر التونسى الحديث واهتماماته من تلك المواضيع :

- قضية اللغة فى الشعر التونسى الحديث والتعامل معها على مستوى التجديد .
- تقييم تجربة نادى الشعر بدار الثقافة ابن خلدون .
- تقييم تجربة « فى غير العمودى الحر » .
- دراسة حول القصيدة النثرية فى تونس .
- التجربة الشعرية والواقع التونسى . والتفاعل بينهما

- النظرة الى الحرية فى الشعر التونسى قديما وحديثا .
- الشعر التونسى بين الحلم والواقع .
- اسباب الغموض فى الشعر التونسى الحديث .
- اشكال الشعر التونسى الحديث ومضامينه .
- الشعر النسائى فى تونس ومستقبله .
- نظرة عامة للشعر التونسى الحديث .
- مدخل نقدى للشعر من خلال مجلة الفكر .
- مدخل نقدى للشعر من خلال الملحق الثقافى لجريدة بلادى .
- ندوة حول الشعر التونسى الحديث وموضوعها : قضية الغموض والرمز فى الشعر .
- القيام باستفتاء القراء والمنتجين على السواء حول حاضر الشعر التونسى ومستقبله .

فمن ينوى المشاركة فى اخصاب هذا الملف الخاص بالشعر فى تونس نرحب به وبشعره ودراساته والملف مفتوح علنا ولجميع الشعراء والادباء والمفكرين .. ويوم 5 جوان 1978 هو آخر موعد لقبول الانتاج . وهذه اتاحة جدية من (مجلة الفكر) لفرصة ظهور جميع الاتجاهات الشعرية الحديثة ببلادنا .. واخذ بيد شباب الكلمة الشعرية الواعدة بمستقبل الحرف المناضل فى سبيل قضايا المصير الوطنى الشامل .

● **اتحاد الكتاب التونسيين والملتقيات :**

يمارس اتحاد الكتاب التونسيين نشاطاته دؤوبا على منهج الاستمرارية الفاعلة فبعد ان نظم ملتقى (الشعر التونسى الحديث) فى شهر افريل 78 المبحر ، نراه اليوم يستعد من جديد لاقامة ملتقى آخر جديد بحيث (اذ انتهى ملتقى قام ملتقى) وذلك فى أواخر السنة الجارية 1978 بمدينة زغوان الاثرية وعجلة هذا الملتقى ستدور حول محور : « دور الأديب والمفكر فى التنمية » والمتأمل فى محور هذا المدار يلمس ان الاديب والمفكر التونسيين لا يعيشان بمعزل عن واقعهما الوطنى ، ولا يجلسان على الربوة كما قال

(بعضهم) . بل يمارس الاتحاد دوره بالطريقة التى خلقها لنفسه وخلق هو لها .. يمارس دوره فى مسيرة التنمية ببلادنا ذلك لانه يؤمن بجدوى تلك الممارسة لدفع سفينة الاقلاع فى بحر التقدم المعاصر حسب الرؤية التى يراها من ورشته المطلة على الواقع الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسياسى لتونس اليوم مشاركة منه فعالة فى التشييد الحضارى لتونس المستقبل . وبقدر عمق الاسس يكون ارتفاع الجدران ، كالشجرة التى تضرب جذورها فى عمق الارض ، وتذهب أغصانها فى بعد السماء ، وبين الجذور الضاربة فى العمق ، والاغصان الذاهبة فى السماء ، تنبسط الارضية الصلبة التى يقف عليها السياسى والاقتصادى ورجل الفكر على حد سواء . لا فضل لهذا على ذاك الا بما يقدم لوطنه من خدمات ، كل فى ميدانه ومن تباين الميادين يتكون المسار العام للتشييد الحضارى المنتظر لتونسنا العزيزة ولوطننا الاكبر . ومن سلامة الاجزاء يتم النهوض الصحيح للوطن الكل .

الفاس الذهبية :

قصص وحكايات للاطفال ترجمة الاديب عيسى فتوح الذى اهدانا مشكورا نسخة من عمله الذى يثرى المكتبة العربية للاطفال العرب وقد أصدرت هذا الكتاب وزارة الثقافة والارشاد القومى بدمشق . سنة 1977 وقد احتوى على 16 قصة مترجمة عن قصاصين من مختلف بلاد العالم من صينية وروسية وغيرها وقد ذكرتنى صورة الغلاف التى تمثل فاسا هاوية على جذع شجرة ببيت من شعر ابى القاسم الشابى يقول فيها من قصيدة النبى المجهول :

ليتنى كنت حطابا فأهوى على الجذوع بفأسى

أبعاد .. أبعاد .. أبعاد .. :

وصلنا العدد الاول والثانى والثالث من مجلة « أبعاد » المجلة المدرسية الدورية التى يصدرها المعهد الثانوى للفتيات بنابل . فرع الشبيبة المدرسية . وقد وجه لنا السيد عبد السلام الملولى مدير المعهد ضمن اعداد المجلة كلمة جاء فيها : بمناسبة صدور العدد الثالث من مجلتنا « أبعاد » يشرفنا بأن نبعث اليكم بهذا العدد مشاركة منا فى النهضة الثقافية ببلادنا راجين لأبعاد بعدا عميقا فى نفوسكم .

ونحن اذ نتلقى هذه البذور الطيبة لا يسعنا الا ان نباركها ونهيء لها أرضية تنبت فيها ، وتورق وتزهر ، لتعطى للمستقبل ثمارها ناضجة بعد هذه المرحلة التكوينية التى تمر بها على صفحات « أبعاد »

والمتتبع لهذه المجلة فى اعدادها الثلاثة يلاحظ ان الشباب المدرسى تواق فى دراساته الى الاصالة العلمية . وفى ابحاثه الى الممارسات العقلانية . وفى قصصه الى الخيالات الرومانطيقية .. والى الرومانسية فى محاولاته الشعرية والى البحث عن الحرية التى تتجاوز فى دفعها التقاليد وتثور عليها للاطاحة بها دون أن تعد لها ما يعوضها كبديل لا يخلو من ملامح اصالتنا العربية .

حنانيك ! حنانيك !

اصدرت مطبعة « دار الجنوب للنشر » مجموعة شعرية للشاعر السعودى : عبد العزيز محيى الدين خوجة فى طبعة ثانية . تونس ربيع الاول 1978 وقد قال الناشر فى الصفحة الثانية من الغلاف : « يضرب شعراء اليوم فى دروب اليأس والبؤس والظلام بلا حساب ... وهذا صوت من السعودية ـ صوت رجل اختصاصه ويا للغرابة العلوم الكيميائية ! ـ يهمس ان فى الدنيا الجمال وفيها الحب ويسعى ـ وان فى لوعة ـ الى انسانيته العميقة فاذا هى حب وشوق ، حب ملتهب وشوق متقد قد يبلغان حينا درجة الابتهال . وتذوب الكلمة موسيقى سحرية تجرف كياننا الدفين فتسمو به الى ابعد حد » .

وقد اهدانا الشاعر مشكورا نسخة من مجموعته الشعرية التى طبعت بتونس بعد ان تم طبعها بمكة اولا بتاريخ 1977 وأملنا ان نرى مجموعته الثانية تبرز الى الوجود وتجذر مسيرته الشعرية الموفقة ان شاء الله مستقبلا .

حصيد الأيام :

مجموعة قصصية وفدت علينا من المغرب الشقيق ، من مطابع دار الكتاب بالدار البيضاء فى طبعتها الاولى التى تمت سنة 1977 وصاحب هذه المجموعة هو القصاص الاستاذ عبد السلام العزيز من مواليد تطوان بالمغرب سنة 1941 وهو من رجالات الانتاج الصحفى والقصصى والدراسى وهذه المجموعة يبدو انها أول عمل قصصى ينشره مشتملا على ثلاث قصص : قهوة الظهيرة . إن الامر اكبر . بيوت تسكنها القطط .

نرجو للعزيز التوفيق فى اعماله الادبية والسير على درب الاستمرارية .

مهرجان المسرح المدرسى :

فى الثامن والعشرين من شهر افريل 1978 انطلق من دار الثقافة ابن رشيق بالعاصمة التونسية مهرجان «المسرح المدرسى» مقدما للجمهور آخر ما وصلت اليه فرق المعاهد الثانوية من مسرحيات اذا قورنت بما قدمت تلك الفرق من

قبل فان الملاحظ يلمس مدى ما وصلته قاعدة المسرح المدرسي من تطور لا باعتبار نمو تلك الفرق فقط بل من واجهة تطورها كيفا وتصاعدها كما وانها للارضية الاولى التى يدب عليها مسرح الهواة الذى من عطاءاته الجليلة للمجتمع : « رجل المسرح الذى لا يمكن ان ينتهى الا ممثلا بارعا او مخرجا لامعا » فيكون بذلك الاحتراف المسرحى مجدا لمعتنقيه .

قضايا الأدب العربي :

تحت هذا العنوان أصدرت الجامعة التونسية مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية الجزء الثانى من سلسلة الدراسات الادبية وكانت كلمة الافتتاح فى هذه النشرية للاستاذ عبد الوهاب بوحديبة أما كلمة التقديم فهى للاستاذ عمر بن سالم وكتب انطوان المقدسى دراسته تحت عنوان : **قضايا الادب وضرورة انتاجه . اما دراسة تطور لغة الحوار فى القصة فهى** للاستاذ ابن سالم عمر ؟ ويبدو انه هو نفسه صاحب كلمة التقديم رغم محاولة اختفائه وراء تقديم وتأخير أربك به اسمه . اما الاستاذ : **شيخة جمعة فقد** كان اهتمامه بمؤتمرات ادباء العرب والتيارات المعبرة عنها فى **الادب الحديث. ويظهر انه استند** فى تقييمه لمشاركة الادباء وخاصة التونسيين **منهم الى ما كتبته عنهم المجلات المشرقية فوقع فى الفخ الذى نصبوه لامثاله ولم يطلع على الردود التى** كتبت من تونس مواجهة لتجنى بعض **اخواننا فى المشرق .** ومن الاشكال الادبية القديمة : الحكاية والخبر فقد قدم لنا **الاستاذ الحبيب** الشاوش بحثه . وبحث الاستاذ حمادى صمود كان بعنوان : **ملاحظات حول** مفهوم الشعر عند العرب .

وإذا كان للادب الوان من ابيض واحمر وازرق .. فهذا : اللون الابيض فى الادب يقدمه لنا الاستاذ محمود طرشونه تحت عنوان الادب الابيض او درجات التعبير فى الادب العربى القديم .

● على هامش الندوة القومية الرابعة للبلديات :

وافانا الشاعر : هشام بوقرة رئيس بلدية نفطة بصدى طريف كان الشاعر بيرم التونسى منطلقا له ننشره للمقابلة بين عصرين ووالد ومولد ، وموضوع « المجلس البلدى » هو القاسم بين العصرين والشاعرين .

« اذا كان الشاعر (بيرم التونسى) ، قد نقد فى هزل ، تصرفات المجلس البلدى فى فترة معينة من تاريخ البلدية ، أيام كانت كل الدواليب بين أيدى السلطة الاستعمارية فان الوضع بعدالاستقلال قد تغير بالنسبة لنافى تونس.فبعد

ان كان المجلس البلدى يأخذ كل شىء من المواطن قهرا ولا يقدم له الا القليل من الخدمات ، اصبح المجلس البلدى يسعى الى تحقيق جل التطلعات ، والحال ان المواطن يبخل على المجلس البلدى حتى بالتوجيه ، هذا اذا لم يتجاوز ذلك الى الطعن فى البلدية وفى اعضاء مجلسها .

فهذه الابيات (الفكهة) نابعة عن تجربة ، ومعاناة لواقع معـاش ، قد لا يكون فى كل المناطق ، فهى ليست تشاؤما وانما هى سرد لما يجرى . وهى بالتالى مهداة الى كل من عبرت عن واقعهم من الزملاء البلديين :

(بيرم) شكا وبكى فى سالف المـدد لما انبرى هازئا بالمجلس البلـدى ،
ايـام كنـا قطيعـا بيعـه سلـم ، وليس يعرف مـا يجـرى على البلـد
والاجنبى يسوس الشعب فى صلف ، أصلاحهم قد حواه المجلس البلدى (1)
قد كان ذلـك فـى عهـد شريعتـه الكل فى وطنى ، للمجلـس البلـدى

* * *

وبعـد طـول نضـال قـاده بطـل هو (الحبيب) تجلى باسم منفـرد ،
من ألهم الشعب تصميما وتضحيـة ، وصارع الظلم ايمانـا وفـى جلـد ،
اضحى الكثيـر هـواة فـى رمايتهـم فليس للقنص غير المجلس البلدى ،

* * *

---

1) اشارة الى ان قمة الاصلاحات فى عهد الاستعمار هى اصلاحات (فوازار) والتى شملت تطوير بعض صلاحيات البلديات .

2) اشارة الى عدم احترام الاسعار والى بيت بيرم :
(يا بائع الفجل بالمليم واحـدة كم للعيال وكم للمجلس البلـدى)

3) العديد من المواطنين يشاهدون كيف تحطم التجهيـزات (التنويـر العمومى والحنفيات الخ ..) ولا يحركون ساكنا سواء بالنهى عن تلك الافعال او باشعار البلدية .

يا بـائع الفجـل بالدينـار (قتته) هلا احترمت قرار المجلس البلدى ؟(2)
يا ملقى (الزبل) فى الانحاء معتديا اما فهمت رجـاء المجلـس البلـدى ؟
يـا مـن تشاهـد تجهيـزا به تلـف ألست انت حليف المجلس البلدى (3)

★ ★ ★

يـا نـاكـرا لسلـوك تدعـى غلطـا هلا أنرت طريق المجلس البلدى ؟(4)
يـا طـالبا لحقـوق انـت ترغبهـا وواجباتك غابت عنـك فى لحـد (5)
ان (الأنا) قد طغت فينا قواعدها فليتـق الله من اهلـى اولى الرشـد

★ ★ ★

اذا اردت فنــاء العمـر فـى سنـة او ان تضام وتحيا الدهر فـى نكـد
او ان يصارعك الاقـزام فـى نهـم او ان تعلـق فـى حبـل من المسـد
فكن عفيفا ، سليم الرأى فـى جـدل ضمن الاطارات ، او فى المجلس البلدى

★ ★ ★

قد ايقظ اللـه قومـى مـن سبـاتهم كمـا تبـدل دور المجلـس البلـدى
واصبـح البعـض آسـادا مقنعـة فليت (بيرم) عضو المجلس البلـدى

---

4) العديد ينتقدون فقط ويدعون ان سلوك المستشارين البلديين غلط رغم انهم لا ينبهون او يحددون مواطن الغلط .

5) المواطن يطالب بحقه على البلدية ولا يفرط فيه ولكنه عندما يدعى الى القيام بواجباته يتجاهل .

6) اشارة الى ما يعانيه الاطارات فـى المنظمـات او البلديـات المعروفـون باستقامتهم وسلوكهم السليم من عراقيل ، وما يشعرون به نتيجة لكل ذلك من قلق والم .

● واللغة العربية لها عيدهـا :

اليوم الذى يعقد فيه المجمع اللغوى اجتماعه السنوى وبمشاركة علماء اللغة فى الوطن العربى هو يوم 13 مارس من كل سنة وهذا هو اليوم الذى سيكون عيدا للغة العربية . (فبأية حال قد عدت أيا عيد .. أبما قد يحلو أم مر فيك التجديد ؟)

ستحتفل اللغة العربية بعيدها كل سنة اذا قبل هذا الاقتراح الذى تقدم به وزير الثقافة والاعلام المصرى طبعا من طرف المجمع اللغوى والا فـلا عيـد للغة العربية . ولكن لماذا لا يقبل مبدئيا فى انتظار موافقة كل البلدان العربية الممثلة فى المجمع اللغوى لتتبنى هذا العيد وتصرف للاحتفاء به البعـض ممـا تصرفه من اموال فى احياء أعياد التتويج والجلوس والوقوف والميلاد وغيرها من الأعياد .. لماذا لا يكون ذلك نواة « الكيباك » للغة العربية التى تمر اليوم وفى عقر دارها بتحديات رهيبة لو كانت لعقولنا عيون ثـاقبة لرأينـا تلـك التحديات تأخذ اشكالا عملاقة كالوحش ومتنوعة كالالوان ومتعددة كالاصوات. وقد لا يراها الجيل الذى اعتاد مشاهدة الاستعمار المجسـم فاعتـادت عيونـه رؤية التناقض حتى صار ذلك الاعتياد عادة وياللأسف !

● نادى الشعر فى جندوبـة ..

فى نطاق الايام الثقافية التى أقيمت بجندوبة وقعت دعوة نادى الشعر بدار الثقافة ابن خلدون للقيام بأمسية شعرية يوم الاحد 2 أفريل 1978 وبالرغم من أن يوم الاحد مازال عندنا يوم الراحة الأسبوعية فقد ضحى خمسة شعراء من نادى الشعر بيوم راحتهم الاسبوعية وركبوا الطريق (كمن ركـب رأسـه) وتجشموا اتعاب السفر وبعد قضاء ثلاث ساعات فى الاقامة الجبرية بالسيارة التى تقلهم ، وصلوا الى جندوبة وبباب مقر اللجنة الثقافية بجندوبة ايضـا وقف جماعة الشعراء وقوف حمار الشيخ عند العقبة ذلك لان أحد المسؤولين باللجنة الثقافية اعترض سبيلهم بالباب (بلا كلام ولا سلام) ليقول لهـم : تأجلت الامسية ... (عودوا من حيث جئتم) لو قالها لكانت بـردا وسلامـا ولاستراحوا قعودا أو وقوفا على كراسى ذلك المنطق السليم .. وحمـرة فـى الوجه ولا غصة فى القلب كما يقال .. على كل اذا لم تقم اللجنة الثقافيـة بجندوبة بأبسط قواعد الاستقبال والضيافة فقد استضافت هـؤلاء الشعـراء واستقبلتهم إحدى مقاهى جندوبة المعمورة وتنفسوا هناك الصعداء وشربـوا

على نخب الشعر المركول . وعادوا الى اقامتهم الجبرية فى سيـارتهم التـى وصلت بهم الى تونس العاصمة فى حدود الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بعد أن أصلحوا عطبا أصاب السيارة فى بلدة (الكريب) تحت وابـل المطـر ورذاذ البرد .. والشعر معاناة او لا يكون .

وقد وجه نادى الشعر بدار الثقافة ابن خلدون رسالة احتجاج الى اللجنـة الثقافية القومية بتونس ..

رجاء .. رجاء .. الشعور بالمسؤولية يا رجال اللجان .. ويا لجان الثقافة ببلادنا .. فاذا كان رب الدار كالطبل فارغا فلا تلم الظيوف عن فلق الطبل !

اعداد : الصادق شرف

(ابو وجدان)

شعـــر : محمد سعيد فخرو (حلب)	**لأجلك أنت ..**	
دراسة : محمد الشعبونى	**خـواطر حـول ديـوان صالـح السويسى**	
قصـة : خليفة الجوزنى	**خصاء الثيران**	
دراسة : أحمد الطويلى	**الحضارة القيروانية بين الامس واليوم**	
شعـــر : محمـد علـى الربـــاوى (وجدة . المغرب)	**حصـــار ..**	
دراسة : محمد العياشى	**ميلاد الميزان فى الشعر العربى**	
نـــص : عبد السلام المســدى	**بكم .. ومابهم صمم ..**	
شعـــر : الصادق شرف	**من « شواطىء العطش »**	

الفهـرست

العـدد 8 ـ مـاى 1978 السنـة الثـالثة والعشـرون

الفكر
مجـلة ثقافيـة

تصـدر بتـونس شهـريـا

مـؤسسهـا ومديـرهـا المسؤول

محمـد مـزالى

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**

الادارة : 13 نهـج دار الجلـد ـ تونس

تلفـون : 260.237

الحسـاب الجـارى : 33769 ـ تونس

العنـوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانيـر .

اشتراكات بالخارج 3.500 ثلاثة دنانير ونصف

اشتراك الانعـار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم : مدير مجلة « الفكر » صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR-Revue mensuelle culturelle 23° Année N° 8 Mai 1978

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم تونس
تحت رقم 354 / 78 ـ الايداع القانوني 2 / 78